مجلة البيان – العدد 74 ، شوال 1414هـ / مارس 1994م

كلمة صغيرة

ماذا بعد (15) عاماً من الثورة

احتفلت إيران مؤخراً بمرور خمسة عشر عاماً على ثورتها ضد الشاه والتي تلقاها الكثيرون من الناس - حينها - بالقبول وحسن الظن لما أعلنته من إسلامية المبدأ والهدف!

لكن تبين أن ذلك الظن ليس في محله لما يلي :

- 0 التوجه الطائفي المتطرف المخالف لأصول أهل السنة في مصدر التلقي .
- 0 العنصرية الفارسية حيث أنه لا يتأتى لغير فارسي حكم إيران حتى ولو كان شيعياً .
- 0 النهج التآمري في مسألة (تصدير الثورة) والذي يتراوح بين القوة واللين حسب الظروف.
- 0 الموقف المعادي لأهل السنة من شعبها إلى حد يسمح لليهود والنصارى والمجوس بحقوقهم بينما يحرم منها أولئك, ومحاربتها لعلماء السنة معروفة.

لم تكن هذه الثورة إلا طائفية شيعية أما أن تكون إسلامية حقاً فهذا ما لا يتفق مع حقائق الوحيين.

الافتتاحية

الأصولية ومدى موضوعية الطرح

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده ، وبعد..

يلاحظ أن ما يسمى الأصولية اليوم في خضم الزخم الإعلامي الكبير الذي أعطي لها على كل المستويات لاسيما من قبل المعادين للإسلام قد استخدمت أبشع استخدام لمحاربة الإسلام ذاته ، وإظهار المتمسكين به بأنهم هم المتطرفون والإرهابيون ، وهم الخطر القائم ضد العالم كله!

ونحن بادئ ذي بدء نؤكد على أن مصطلح الأصولية بالفهم الذي يشيعه الغرب، ويروجه أذنابه بوسائل إعلامهم في كثير من البلاد العربية والمهجر، إنما هو معنى طارئ على مجتمعنا الإسلامي ، لأنه يعني في الأساس مفهوماً غربياً يصور الصحوة البروستانتية النصرانية ، ويعني أيضاً الالتزام الصارم بالعقيدة الأرثوذكسية المعارضة للاتجاهات التحررية ؛ لكن الغربيين الذين يعيشون هاجس الخطر الدائم المناوئ لهم الذي صوروه سابقاً في دراساتهم

وأبحاثهم وأدبياتهم متمثلاً في (الشيوعية) ، قد حولوا ذلـك الهاجس إلى الإسلام بالتحذير منه ومن الصحوة الإسلامية التي انتشرت في طول بلاد الإســـلام وعرضها ورميها بكل نقيصة ، والمتابع لطروحاتهم يلمس فيها جعلهم الإسلام ومعتنقـيه العدو الجديد للحضارة الغربية ومن أمثلة ذلك:

1- مـحـــاضرة المستشرق اليهودي الأمريكي (برنارد لويس) بعنوان (الأصولية الإسلامية) التي كانت محل عناية الإعلام الغربي وتعليقه ؛ لأنه صب فيها جام حقده على الإسلام ودعاته.

2 -أما صاحب (انتهزوا الفرصة) فهو يقول في هلع ورعب مُفْتَعَلَين بعد سقوط الشيوعية: أصبحت الأصولية الإسلامية هي العدو الأول.

3 -أما الصـهـيــوني العجوز (كسينجر) فهو في أحدث المقابلات معه يقول: إن ما يشغله حتى العشر سنوات القادمة الأصولية والهجرة الجماعية.

يتبين للمتابع لهـــذه الأقوال وأمثالها ما تشكله من عداء مستكن في الصدور مما ظهر على ألسنتهم ووضحته أفعالهم ، والحقيقة أن هذا العداء العنيف للإسلام وأهله لا يستغرب لما يلي:

*أن القرآن الكريم قـــد وضــح لنا عداء الكفار بقوله تعالى: ((ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم)) (البقرة:120) ، وبقوله تعالى: ((ود كثير من أهل الكتاب لو يردونكم من بعد إيمانكم كفاراً حسداً من عند أنفسهم)) (البقرة:109).

*أن العالم الإسلامي الذي ذاق الأمرين من المستعمر ، ونهبت خيراته ، لديه من مقومات النهضة والقوة ما لو أتيح له المجال لنبذ التبعية للغرب ، وتمرّد على نظمه وقوانينه ، وهذا ما يخيفهم.

*الموقع المهم للعالم الإسلامي ، وتحكمه في كثير من الممرات الاستراتيجية التي لها أثرها في التجارة العالمية.

أين الإنصـاف؟!

والعجيب أن الإعلام الغربي بكل اتجاهاته، وبـشـتــى وســائلـه يقوم بحرب شعواء على الإسلاميين بأساليب منها:

*المزيد من حملات التشنيع عليهم، ومهاجمتهم أحياناً بطرق تضاهي (الأساليب البوليسية العربية) في ملاحقتها للإسلاميين.

*توريط الإسلاميين في قضايا مزورة للإيقاع بهم كما حصل وكشفت عنه الأخبار مؤخراً.

*مضايقة اللاجئين لديهم وسن القوانين التي تحد من حريتهم وحقوقهم المدنية.

تطرف وإرهاب أيضاً ، ولكن؟!

ومما يؤكد العداء للإسلام وحده في الغرب والشرق هو التجاهل لتطرف الأصــــوليات غير الإسلامية مع ما تقوم به من إرهاب ودمار ومآسي وتهديد

ليس لدول بعينها وإنما للسلام العالمي ، ومع ذلك تُدَس الرؤوس في الرمال ، ويتناسى كل ذلك.
فهناك الأصولية اليهودية التي يتاح لها الحرية في العمل السياسي وربما لا تقوم حكومة صهيونية إلا بدعم منها كما هو الحال مع (جماعة كاخ) مثلاً التي مازالت تطالب بقتل وطرد الفلسطينيين ، ومازالت تلك فلسفتهم كما سطرها زعيمهم الهالك (كاهانا) في كتابه (شوكة في عيونكم) ، ويعني بالشوكة الشعب الفلسطيني. ومع ذلك لا يوجه لهم أي نقد لا لشيء إلا لأنهم غير مسلمين!
وهناك الأصوليات النصرانية التي كثرت الدراسات العلمية الموضحة لاتجاهاتها ومنها: (النبوءة والسياسة) لجريس هالسل ، و(الأصولية الإنجيلية) للأستاذ محمد السمّاك.
ولا يغيب عن البال المذابح الدامية التي أقامها متطرفو النصارى في جويانا وفي أمريكا التي لم تنل (واحداً في المئة) من الحرب الإعلامية ضد المسلمين.
وهناك التطرف الهندوسي والتطرف البوذي اللذان لا تسلط الأضواء عليهما ولا يحاربان، لا لشيء إلا لأنهما لا ينتسبان إلى الإسلام ، أما تطرف (جيرينوفسكي) وتهديده لأوربا بالحرب (النووية) فهو محل متابعة الإعلام الغربي ، ولم يطالب حتى بمحاكمته ، أو الضغط على روسيا لكبح جماحه.

حتى أنت يا أفورقي!

وبما أن تشويه الإسلام والمسلمين ووصمهم بالتطرف هو حديث الساعة فقد صرح الصليبي المتصهين (أسياسي أفورقي) متهماً السودان بأنه يجند الأصوليين لحرب دولته ، حتى ينال على ذلك الدعم ، ويكثف من التوجه الغربي للتدخل في السودان بزعم حماية نصارى الجنوب!.
لقد عضّ هذا الصليبي اليد التي أيدته وساعدته ، بل ومنعت المجاهدين الأريتيريين من مواصلة حربهم ضده ، كما نقلت الأخبار في ذلك الوقت قوله وبكل غطرسة حين سُئل عن المجاهدين المناوئين له: أين هؤلاء دلوني عليهم ، ثم عاد للصراخ اليوم داعياً لإنقاذ نفسه من خطرهم ، ولعله ليأخذ مقابل ذلك (المعلوم).
هذه مواقف الغرب من العداء للإسلام ودعاته ، لكن ما يجب أن يفهمه الجميع أن الموقف الإسلامي من الغرب ليس بالضرورة موقف العداء لهم ماداموا لا يعادون الإسلام ، ولا يعملون لدمار دياره ، ولا يضعون المعوقات في طريق نهضته وقوته.
يقول الله تعالى: ((لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم وتقسطوا إليهم إن الله يحب المقسطين)) (الممتحنة:8) ، وموقف الإسلام من أهل الذمة والمستأمنين مبسوط في

كتب الفقه ، وحسبنا قوله صلى الله عليه وسلم: »من قتل معاهداً لم يرح رائحة الجنة ...« الحديث رواه البخاري.
إننا ندعو إلـى تبني الإنصاف الذي كثيراً ما يدعون إليه في وسائل إعلامهم ، أما أذنابهم فـي الإعــلام العربي وحتى الكتاب الذين ينظّرون لوأد الاتجاه الإسلامي من كتاب اليسار واليمين المـتـطــرف وهم أحقر من أن يذكروا فإنهم لن يكفوا عن أساليبهم في حرب الدعوة والدعاة حتى يكــف أسيادهم عن ذلك، وحينها سيخجلون من مواصلة الكذب بلا طائل، لأن أساليبهم إياها أصبحت محل استهجان ومقت القراء الذين صاروا يتجنبون مطبوعاتهم التي تقوم على الـكــذب والـتـزويـر والإثارة، وستبقى تلك الأساليب ضد الإسلام ودعاته وصمة عار على من يكتبها ، ومن يدعمها.
((إنهم يكيدون كيداْ * وأكيد كيداْ * فمهل الكافرين أمهلهم رويداْ)) »(الطارق: 15-17)

مـقـال

دروس من حياة سلفنا الصالح

عبدالعزيز آل عبداللطيف

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده ، وعلى آله وصحبه، أما بعد:
فإن الدعوة إلى الله وظيفة الأنبياء عليهم الـســلام ، وسبيل العلماء الربانيين ، ولذا كانت أفضل القربات ، وأعظم المقامات.
قال تعالى: ((ومن أحسن قولا ممن دعا إلى الله وعـمـل صالحا وقال إنني من المسلمين))(1)
والدعوة إلى الله تعالى لابد أن تكون صحيحة الـمقـصد، سليمة المنهج وهذا هو سبيل دعوة نبينا محمد -صلى الله عليه وسلم- ومن تبعه بإحـســان ، كما قال عـز وجل: ((قل هذه سبيلي أدعو إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني وسبـحـــان الله وما أنا من المشركين))(2)
ولقد سلك سلفنا رحمهم الله هذا الطريق، فأمروا بالمعروف، ونهوا عن المنكر وعلموا الناس الخير، وبلّغوا البلاغ المبين عبر وسائل متعددة: كالـتـدريـس والحسبة، والوعظ، والفتيا، والقضاء وغيرها... لقد قام أولئك السلف بهذه الدعوة ابتغاء وجه الله تعالى، لا يريدون من الناس جزاءً ولا شكوراً وفي الوقت نفسه التزموا بسلامة الـمـنـهــج من خلال الاتباع وترك الابتداع.
والصحوة الإسلامية المعاصرة بحاجة إلى التعرف على أمثلة عملية ومشاهد واقعية من دعوة السلف الصالح ؛ لكي تكون تلك المواقف حافزاً مشجعاً للتأسي بهم، والسير على منوالهم.

قال أحد العلماء: »من نظر في سيرة السلف عرف تقصيره ، وتخلفه عن درجات الرجال«.
وهذه المقالة تحوي جملةً من المشاهد الدعوية من حياة السلف ، نعرضـهـا عـلــى النحو التالي:
كان زاذان يشرب المسكر ، ويضرب بالطنبور ، ثم رزقه الله التوبة على يد عـبـد الله بن مسعود رضي الله عنه فصار زاذان من خيار التابعين ، وأحد العلماء الكبار ، ومن مشاهير العباد والزهاد.(3)
وإليك قصة توبته ، كما يرويها زاذان نفسه قائلاً :
»كنت غلاماً حسن الصوت ، جيد الضرب بالطنبور ، فكنت مع صاحب لي وعندنا نبيذ وأنا أغنيهم ، فمر ابن مسعود فدخل فضرب الباطية (الإناء) فبددها وكسر الطنبور ، ثم قال: لو كان ما يسمع من حسن صوتك يا غلام بالقرآن كنت أنت أنت، ثم مضى، فقلت لأصحابي: من هذا؟ قالوا: هذا ابن مسعود ، فأُلْقِيت في نفسي التوبة، فسعيت أبكي، وأخذت بثوبه، فأقبل عليّ فاعتـنـقـني وبكى وقال: مرحباً بمن أحبه الله، اجلس، ثم دخل، وأخرج لي تمراً«.(4)
ولنا وقفة مع هذه القصة ، فمن خلال هذا السياق نلمس صدق ابن مسعود رضي الله عنه وحسن نيته، وصحة قصده في دعوته لزاذان، مما كان سبباً في هداية الرجل وتوبته وكما قال عبدالقادر الجيلاني (ت 561 هـ) رحمه الله معلقاً على تلك القصة:
»انظر إلى بركة الصدق والطاعة وحسن النية، كيف هدى الله زاذان بعبد الله بن مسعود لما كان صادقاً حسن السيرة، فلا يصلح بك الفاسد حتى تكون صالحاً في ذات نفسك، خائفاً لربك إذا خلوت، مخلصاً له إذا خالطت غير مراء للخلق في حركاتك وسكناتك، موحداً لله عز وجل في ذلك كله وحين يزاد في توفيقك وتسديدك ، وتحفظ عن الهوى والإغواء من شياطين الجن والإنس والمنكرات كلها والفساق والبدع والضلالات أجمع، فـسـيــزال بك المنكر من غير تكليف، ومن غير أن يصير المعروف منكراً، كما هو في زماننا، ينكر أحدهم منكراً واحداً، فيتفرع منه منكرات جمة، وفساد عظيم..«.(5)
وأمر آخر نستفيده من هذه القصة، وهو أن ابن مسعود رضي الله عنه سلك أولى الوسائل الشرعيـة في تغيير الـمنكر، فـلما كـان قـادراً على تغيير المنكر بيده، أزالــه بيده فكسر الطنبور، وأتلف وعاء النبيذ.
لقد ضرب ابن مسعود رضي الله عنه مثالاً رائعاً في الشجاعة والإقدام على الصدع بالحق، وتغيير المنكر، لا يخاف في الله لومة لائم، مع كونه وحيداً، وهم جماعة كما هو ظاهر سياق القصة ، إضافة إلى قصره ونحافته رضي الله عنه.
لكن لما كان ابن مسعود معظماً لحرمات الله تعالى وشعائره أورثه ذلك مهابةً وإجلالاً .. وصدق عامر بن عبد القيس رحمه الله حيث يقول: »من خاف

الله أخاف الله منه كل شيء، ومن لم يخف الله، أخافه الله من كل شيء«.(6)
ومع هذا التغيير باليد، فإننا ندرك مدى شفقة ابن مسعود رضي الله عنه وكمال رفقه، وتمام نصحه لزاذان، فإن زاذان لما أقبل تائباً، أقبل عليه ابن مسعود رضي الله عنه وعانقه وبكى فرحاً بتوبة زاذان، وحياه بأجمل عبارة مرحباً بمن أحبه الله، كما قال سبحانه:((إن الله يحبَ التوابين ويحبَ المتطهرين))(7) ، ليس هذا فحسب بل أجلسه وأدناه ، وأعطاه تمراً .
وهكذا كان أهل السنة يعلمون الحق ويدعون إليه، ويرحمون الخلق وينصحون لهم.
كما نلحظ من هذه القصة ذكاء ابن مسعود وفطنته(8) ، فانظر كيف استجاش زاذان إلى التوبة، فإن زاذان كان مغنياً حسن الصوت، فقال له ابن مسعود: »لو كان ما سمع من حسن صوتك يا غلام بالقرآن لكنت أنت أنت« وفي رواية قال: »ما أحسن هذا الصوت! لو كان بقراءة كتاب الله تعالى كان أحسن«.
إن التوجيه السديد للمواهب والقدرات، ووضعها في محلها الملائم شرعاً، إضافة إلى مراعاة طبيعة النفس البشرية، والعلم بنوازعها ومشاعرها، عامل مهم لنجاح الدعوة فإن النفوس لا تترك شيئاً إلا بشيء فلابد من مراعاة »البديل« المناسب، وهذا ما فقهه ابن مسعود رضي الله عنه وغاب عن الكثيرين.
يقول ابن تيمية: »... الدين هو الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ولا قوام لأحدهما إلا بصاحبه، فلا ينهى عن منكر إلا ويأمر بمعروف يغني عنه كما يأمر بعبادة الله سبحانه، وينهى عن عبادة ما سواه، إذ رأس الأمر شهادة أن لا إله إلا الله، والنفوس خـلـقــت لتعمل، لا لتترك، وإنما الترك مقصود لغيره«.(9)
كان حبيب العجمي من ساكني البصرة، وكان من أهل التجارة والأموال، حتى حضر مجلساً للحسن البصري رحمه الله، وسمع موعظته فوقعت موعظته من قلبه، فصار من أفضل زهاد أهل البصرة وعبادها.
وإليك القصة تفصيلاً :
»كان الحسن البصري يجلس في مجلسه الذي يذكر فيه كل يوم، وكان حبيب العجمي رحمه الله يجلس في مجلسه الذي يأتيه أهل الدنيا والتجارة وهـو غافل عما فيه الحسن لا يلتفت إلى شيء من مقالته، إلى أن التفت يوماً فسأل عما يقوله الحسن البصري، فقيل له: يذكر الجنة، ويذكر النار، ويرغب في الآخرة، ويزهد في الدنيا، فوقر ذلك في قلبه، فقال: اذهبوا بنا إليـه فأتاه، فقال جلساء الحسن يا أبا سعيد هذا حبيب قد أقبل إليك فعظه، وأقبل عليه فأقبل عليه الحسن فذكّره الجنة وخوّفه النار، ورغّبه في الخير، وزهده في الدنيا فتأثر حبيب بتلك الموعظة، وتصدق بأربعين ألفا، وقنع باليسير، وعَبَدَ الله حتى أتاه اليقين«.(10)

أخي القاريء: لعلك تلحظ صدق الحسن البصري رحمه الله في دعوته، وسلامة قصده، حتى أثرت موعظته في قلب حبيب العجمي، فنقلته تلك الموعـظة الصادقة من ضجيج الأسواق، وصخب التجارة إلى أن صار عابداً زاهداً، ذا دعاء مستجاب، وكرامات مأثورة كما صار صاحب بذل وإنفاق في سبيل الله تعالى.
وما أروع مقالة مالك بن دينار في هذا المقام:
»الصدق يبدو في القلب ضعيفاً ، فيتفقده صاحبه، ويزيده الله تعالى حتى يجعله الله بركة على نفسه، ويكون كلامه دواءً للخاطئين«.
ثم قال مالك: »أما رأيتموهم؟« ثم يرجع إلى نفسه فيقول: »بلى والله لقد رأيناهم: الحسن البصري،وسعيد بن جبير وأشباههم، الرجل منهم يحيى الله بكلامه الفِئام [الجماعات] من الناس«.(11)
ولما سمع زين العابدين علي بن الحسين موعظة للحسن ، قال: »سبحان الله هذا كلام صدّيق«.(12)
ولقد سئل أحد العلماء: »ما بال كلام السلف أنفع من كلامنا؟« فقال: »لأنهم تكلموا لعز الإسلام ، ونجاة النفوس ، ورضا الرحمن ، ونحن نتكلم لعز النفوس وطلباً للدنيا ورضا الخلق«.(13)
ومن أسباب الانتفاع بمواعظ الحسن البصري ومجالسه، أنه رحمه الله كان قدوة صالحة، ولم يكن رحمه الله ممن يقولون ما لا يفعلون ، »قيل لعبد الواحد صاحب الحسن البصري: »أي شيء بلغ الحسن فيكم إلى ما بلغ؟ وكان فيكم علماء وفقهاء«. قال: »كان الحسن إذا أمر بشيء كان أعمل الناس به وإذا نهى عن شيء كان أترك الناس له«.(14)
وأمر آخـــــر يسترعي الانتباه في هذه الحادثة ، وهو عناية الحسن بموضوعات الرقائق والزهد والسلوك ، حتى كان للحسن البصري مجلس خاص من مجالسه ، لا يكاد يتكلم فيه إلا عن معاني الزهد والنسك ، فإن سأله إنسان غيرها ، تبرم وقال: »إنما خلونا مع إخواننا نتذاكر«.(15)
إن غالب مواعظ الحسن ووصاياه كانت في ذم الدنيا ، والنهي عن طول الأمل ، والأمر بتزكية النفوس ، وتصحيح المقاصد والنيات.
وما أحوجنا إلى مثل تلك المواعظ والزواجر من أولئك الأئمة الأعلام وهكذا كان الوعاظ في قديم الزمان »علماء فقهاء« كما قاله ابن الجوزي.(16)
وقال الإمام أحمد بن حنبل: »ما أحوج الناس إلى قاص صدوق«.(17)
ولقد كان الحـســن في كثير من الأحيان يزهد في الدنيا ويحذر منها ويرغب في الآخرة ، وهذا مسلك نبوي مأثور ، فقد قال : »إن أكثر ما أخاف عليكم ما يخرج لكم من بركات الأرض ، قيل وما بركات الأرض قال زهرة الدنيا..«.(18)
ولذا كان الحسن يقول: »والله ما عجبت من شيء كعجبي من رجل لا يحسب حب الدنيا من الكبائر ، وأيم الله إن حبها لمن أكبر الكبائر ، وهل تشعبت

الكبائر إلا من أجلها؟ وهل عُبدت الأصنام، وعُصي الرحمن إلا لحب الدنيا، فالعارف لا يجزع من ذلها ، ولا ينافس بقربها ، ولا يأسى لبعدها«.(19)
وصدق الحسن، فغالب الكبائر نابعة من حب الدنيا: فالسرقة، والزنا والحسد، والكذب ، والكبر ، والرياء وغيرها من أجل حب الدنيا ، والتكالب عليها بل إن الله تعالى قد أخبر في كتابه العزيز أن الكفر واستحقاق العذاب بسبب حب الدنيا وإيثارها على الآخرة، فقال تعالى:((من كفر بالله من بعد إيمانه إلا من أكره وقلبه مطمئن بالإيمان ولكن من شرح بالكفر صدراً فعليهم غضب من الله ولهم عذابِ عظيم ذلك بأنهم استحبوا الحياة الدنيا على الآخرة))(20)
وهنا ملاحظة أخيرة: أن بعض التائبين يعتزلون الحياة من أجل العبادة وهذا فيه نظر ، إذ لا يصح أن كل تائب لابد أن يكون على ذلك المنوال: منقطعاً وزاهداً عن الأخذ بأسباب الحياة المباحة ، فتلك رهبانية حُذرنا منها. وصدق الله العظيم القائل: ((وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا))(21).
فإن من مميزات ديننا الحنيف الوسطية: ((وكذلك جعلناكم أمةً وسطاً))(22) لا رهبانية ولا مادية وإنما يكون المسلم عابداً لله ، ساع في الأرض عاملاً أي عمل مناسب يكفي نفسه حاجاتها، ولا يكون عالة على غيره ، ولم يعرف الانقطاع للعبادة إلا بعد القرون الفاضلة، يوم جاءت الصوفية وطقوسها المبتدعة ، ومعلوم موقف الرسول -صلى الله عليه وسلم- من الثلاثة الذين سألوا عن عبادته في الصلاة والصيام والزواج فلما أخبروا بها كأنهم تقالوها فعزموا على خلافها فقال لهم عليه الصلاة والسلام: »أما والله إني لأخشاكم لله وأتقاكم له، لكني أصوم وأفطر، وأصلي وأرقد، وأتزوج النساء، فمن رغب عن سنتي ، فليس مني«.(23)
ساق أبو نعيم في »الحلية« بسنده إلى إبراهيم بن سليمان الزيات ، حيث قال: كنا عند سفيان الثوري ، فجاءت امرأة فشكت ابنها وقالت: يا أبا عبد الله أجيؤك به تعظه؟ فقال: نعم جيئي به ، فجاءت به ، فوعظه سفيان بما شاء الله فانصرف الفتى ، فعادت المرأة بعد ما شاء الله ، فقالت: جزاك الله خيراً يا أبا عبد الله، وذكرت بعض ما تحب من أمر ابنها، ثم جاءت بعد حين فقالت: يا أبا عبد الله ابني ما ينام الليل ويصوم النهار، ولا يأكل ولا يشرب فقال: ويحك مم ذاك؟ قالت: يطلب الحديث ، فقال: احتسبيه عند الله«.(24)
سفيان الثوري أحد الأئمة الكبار ، وكان أمّاراً بالمعروف لا يخاف في الله لومة لائم ، حتى قال أحدهم: »كنت أخرج مع سفيان الثوري فما يكاد لسانه يفتر عن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ذاهباً وراجعاً«.(25)
كما أنه رحمه الله مهتم بأحوال المسلمين، ومن ذلك ما قاله يحيى بن يمان: »تقاوم سفيان الثوري وإبراهيم بن أدهم ليلة حتى الصبح فكانا يتذاكران في أمور المسلمين«.

وفي هذه القصة نلـحــظ حسن تصرف تلك المرأة تجاه مشكلة ابنها ، فقد ذهبت إلى سفيان الثوري ، وعرضـت مشكلتها عليه ، وطلبت منه أن يعظ ابنها وتجلت لنا سرعة استجابة سفيان لطلب تلك المرأة، وحسن خـلـقــه وتواضع، فقد بادر إلى إجابة طلبها ووعظ ابنها، فحسن حال هذا الابن ، حتى جاءت المـــرأة شاكرة لسفيان حسن صنيعه ، ولم يقف أثر موعظة سفيان عند هذا الحد فحسب بل إن هـــذا الابن ازداد استقامة وسلوكـــاً واهتماماً بطلب الحديث ، وتحصيل العلم الشرعي ، فصار كل وقته في طلب العلم والحديث ، مما جعل المرأة تحكي حال ابنها في المرة الثالثة قائلة: ابني ما ينام الليل ويصوم النهار.. يطلب الحديث.
وهكذا عملت تـلـك الموعظة في قلب هذا الفتى حتى صار من أهل الجدّ والاجتهاد في طلب الحديث.
كما نلمس في هــذه القصة شيئاً من المتابعة المستمرة من المرأة نحو ابنها وإبلاغ سفيان بتلك المتابعات ، والانتفاع بعدها برأيه وتوجيهه.
هذه ثلاثة مشاهــد جلية من دعوة السلف الصالح ، وفي ثنايا كتب التراجم الكثير من تلك المشاهد الرائعة ، فالله الله في التأسي بهم ، فمن كان مستناً فليستن بمن مات فإن الحي لا تؤمن عليه الفتنة.

الهـوامـش:

(1) فصلت:33.
(2)يونس:108.
(3)انظر ترجمته في: حلية الأولياء 4/199 ، والبداية والنهاية 9/47 ، سير أعلام النبلاء 4/280.
(4)سير أعلام النبلاء 4/281.
(5) الغنية 1/139 ، 140.
(6) صفة الصفوة 3/208.
(7)البقرة:222.
(8) قال الذهبي: »كان ابن مسعود معدودا في أذكياء العلماء« انظر سير أعلام النبلاء 1/462.
(9) اقتضاء الصراط المستقيم 2/617.
(10) حيلة الأولياء 6/149 بتصرف ، وانظر سير أعلام النبلاء 6/144.
(11) حلية الأولياء 2/359.
(12) أخبار الحسن البصري لابن الجوزي ص 22.
(13) صفة الصفوة لابن الجوزي 4/122.
(14) ، (15) تلبيس إبليس لابن الجوزي ص 68.
(16) أخبار الحسن البصري لابن الجوزي ص 68.
(17) أخبار الحسن البصري.

(18)جزء من حديث أخرجه البخاري في كتاب الرقاق ، باب ما يحذر من زهرة الدنيا والتنافس فيها.
(19) حلية الأولياء 6/13 ، وانظر سير أعلام النبلاء 7/259.
(20) النحل:106-107.
(21)القصص:77.
(22)البقرة:143.
(23)متفق عليه.
(24)حلية الأولياء 4/65 ، 66.
(25)حلية الأولياء

من قضايا العقيدة

نظرة في مناهج المفكرين المعاصرين في دراسة العقيدة

عثمان جمعة ضميرية

ألمحت في مقالة سابقة إلى بعض العوامل والمؤثرات التي آلت بكتب العقيدة تحت مسمى »علم الكلام« إلى قليل أو كثير من الانحــراف في المنهج والتعقيد في الأسلوب ، مما جعلها تبتعد عن المنهج القرآني في مخاطبة النفــوس والعقول لإنشاء العقيدة التي تؤثر في سلوك الإنسان وحياته ، وكان لابد من مواجهة هـــذه الآثار ، فقام بعض المفكرين المعاصرين* باستجلاء الأساس الفكري العقدي للإسلام وصـيـاغته صياغة جديدة يرجى لها أن تكون مؤثرة ، لأنها تربط المسلم بالمصدر الأساس لهذه العقـيــدة وهو »القرآن الكريم« ، والتطبيق العملي له وهو »السنة النبوية« ، فنشأ عندئذ البحث في »التصور الإسلامي ومقوماته«.

- 1 -

التصور الإسلامي هو: الفكرة العامة التي جاء بها الإسلام عن الوجود كله (الكون،الحياة، الإنسان) ، ومقومات هذا التصور هي: مجموعة الحقائق العقدية الأساسية التي تُنْشيء في عقل المسلم وقـلـبــه ذلك التصور الخاص للوجود وما وراءه من قدرة مبدعة وإرادة مدبرة ، وما يقوم بين هذا الوجود وهذه الإرادة من صلات وارتباطات(1).

ولعل أول من استـخـــدم هــذا المصطلح التصور الإسلامي هو المفكر الإسلامي المعروف أبو الأعلى المودودي ، أمير الجماعة الإسلامية في

الباكستان رحمه الله فكتب في ذلك كتابه: »الحضارة الإسلامية: أسسها ومبادؤها« وكتابه: »نظام الحياة في الإسلام« ، وأقامهما على هذه الفكرة.

- 2 -

ثم أقام الأستاذ سيد قطب كـتـابه الـمعروف: »العدالة الاجتماعية في الإسلام**« على هذا الأساس ، فكتب فيه فصلاً عن نظرة الإســـلام للــوجـــود لـيكــون قاعدة لبحث النظام الاقتصادي والعدالة الاجتماعية ، ووعـد ببحث مفصل عن ذلك ، وكان أن أنجز وعده ، فصدر أولاً : »خصائص التصور الإسلامــي ومقوماته« (القسم الأول: الخـصــائــص) ، وبعد سنوات من إعدامه ظلماً رحمه الله صــدر القسم الثاني من الكتاب عن »مقومـــات التصور الإسلامي« في عام 1406 هـ ، ويحدد المؤلف رحمه الله منهجه في البحث فيقول:

»منهجنا في البحث عن »خصائص التـصــور الإسلامي ومقوماته« أن نستلهم الـقــرآن الكريم مباشرة بعد الحياة في ظلال القرآن طـــويلاً وأن نستحضر بقدر الإمكان الجـو الذي تنزلت فيـه كلمـات الله للبشر والملابسات الاعتقادية والاجتماعية والسياسية التي كانت البشرية تتيه فيها وقت أن جاءها هذا الهدي ، ثم التيه الذي ضلت فيه بعد انحرافها عن الهدي الإلهي!

ومنهجنا في استلهام القرآن الكريم أن لا نواجهه بمقررات سابقة إطلاقاً لا مقررات عقلية ولا مقررات شعورية من رواسب الثقافات التي لم نستقها من القرآن ذاته نـحـاكــم إليها نصوصه ، أو نستلهم معاني هذه النصوص وفق تلك المقررات السابقة.

ثم إننا لا نحاول استعارة »القالب الفلـسـفـي« في عرض حقائق »التصور الإسلامي« إقتناعاً منا بأن هناك ارتباطاً وثيقاً بين طبيعة »الموضـوع« وطبيعة »القالب« ، وأن الموضوع يتأثر بالقالب ، وقـــد تتغير طبيعته ويلحقها التشويه، إذا عـــرض في قالب في طبيعته وفي تاريخه عــداء وجفوة وغربة عن طبيعته ، الأمر المتحقق في موضوع التصور الإسلامي والقالب الفلسفي ، والذي يدركه من تذوق حقيقة هذا التصور كما هي معروضة في النص القرآني.

وكلمة أخرى في المنهج الذي نتوخاه في هذا البحث أيضا:

إننا لا نستحضر أمامنا انحرافاً معيناً من انحرافات الفكر الإسلامي،أو الواقع الإسلامي، ثم ندعه يستغرق اهتمامنا كله ، بحيث يصبح الرد عليه وتصحيحه هو المحرك الكلي لنا فيما نبذله من جهد في تقرير »خصائص التصور الإسلامي ومقوماته«، إنما نحن نحاول تقرير حـقـائق هذا التصور في ذاتها كما جاء بها القرآن الكريم كاملة شاملة، متوازنة متناسقة ، تناسق هذا الكون وتوازنه ، وتناسق هذه الفطرة وتوازنها.

ذلك أن استحضار انحراف معين ، أو نـقـص مـعـين ، والاستغراق في دفعه ، وفي صياغة حقائق التصور الإسلامي للرد عليه منهج شديد الخـطـــر وله معقباته في إنشاء انحراف جديد في التصور الإسلامي لدفع انحراف قديم والانحراف انحراف على كل حال!(2).
ولعله مما يحتم هذا المنهج أن ندرك ثلاث حقائق هامة:
الأولى: أن أول ما وصل إلى العالم الإسلامي من مـخـلـفــات الحضارة الإغريقية واللاهوت المسيحي وكان له أثر في توجيه الجدل بين الفرق الـمـخـتـلفة وتلوينه لم يكن سوى شروح متأخرة للفلسفة الإغريقية ، منقولة نقلاً مشوهاً في لغة سقـيـمـــة ، مما نشأ عنه اضطراب كثير في نقل هذه الشروح!
الثانية: أن عملية التوفيق بين شروح الفلسفة الإغريقية والتصور الإسلامي كانت تنم عن سـذاجــــة كبيرة ، وجهل بطبيعة الفلسفة الإغريقية وعناصرها الوثنية العميقة ، وعدم استقامتها على نظام فكري واحد ، وأساس منهجي واحد ، مما يخالف النظرة الإسلامية ومنابعها الأصيلة.
والثالثة: أن المشكلات الواقعية في العالم الإسلامي تلك التي أثارت ذلك الجدل منذ مقتل عثمان »رضي الله عنه« قد انحرفت بتأويلات النصوص القرآنية وبالمفاهيم الإسلامية انحرافاً شديداً ، فلما بدأت المباحث لتأييد وجهات النظر المختلفة ، كانت تبحث عما يؤيدها من الفلسفات والمباحث اللاهوتيـة بحثاً مغرضاً في الغالب ، ومن ثم لم تعد تلك المصادر في ظل تلك الخلافـــات تصلـــح أساساً للتفكير الإسلامي الخالص الذي ينبغي أن يتلقى مقوماته ومفهوماته من النص الـقــرآني الثابت فـي جـــــو خالــص مــــن عقابيل تلك الخلافات التاريخية..«(3).
وهذا المنهج الذي سلكه المؤلف رحمه الله يجعل النص القرآني هو الأصل الذي يتولى تقرير الحقائق التي يتألف منها البحث ، ويجعل عبارة المؤلف مجرد عامل مساعد يجعل النص القرآني مفهوماً بقدر الإمكان للقارئ فيعقد بذلك الألفة بين قارئ هذا البحث وبين القرآن ذاته ، فيتعود التعامل مع القرآن ذاته مباشرة ، ويشعر أن في هـــــذا القرآن غناء كاملاً وشاملاً في كل حقيقة من حقائق الوجود الأساسية(4) ، ويجب ألا نـنـســى مكانة السنة الصحيحة في هذا الباب لقول الرسول -صلى الله عليه وسلم- (ألا إني أوتـيــت الـقــرآن ومثله معه)أي السنة.
ومهما قلت في ذلك الكتاب الممتع ، فلست ببالغ ما أريد ، ولست موفيه حقه ، فحسبي هذه الإشارة إلى أهميته ومنهجه ، ليكون ذلك دافعاً للقارئ أن يعود إليه بالدراسة المتأنية العميقة ، والبحث الدقيق ، ليكون ذلك خطوة على طريق العمل بهذا التصور والتفاعل مع مقتضياته ومستلزماته.

وأما الأستاذ محمد المبارك رحمه الله فقد قدم كتابين في هذا المجال انطلاقاً من الـفـكــرة الـسـابقــة، أولهما: »العقيدة في القرآن« ، وهو بحث مبتكر في العقيدة يعرض لها على أنها نظرة شاملة مترابطة الأجزاء ، ويسلك في عرضها أسلوب العصر الحديث من حيث التعبير ومناهج الـبـحـث والاسـتــدلال بـدلاً مـــن أن يسير في أعقاب المتكلمين ووفقاً لطرائقهم في البحث، التي تـأثــروا فيها بنظريات ومفاهـيـم الفلسفة القديمة ، لاسيما بعد اتساع آفاق الكشف العلمي للكون أو الطبيعة.(5).

ثم كتب أيضاً الجزء الأول من »نظام الإسلام« العقيدة والعبادة نهج فيه المنهج نفسه ، وهو أوسع من الكتاب الأول ، حيث يعرض فيه لحقائق الوجود ويضع العقيدة في موضعها من نظام الإسلام ، فهي اللبنة الأساسية في بنائه ، وهي التي تمد باقي أجزائه بالـحـيـــاة وتحدد اتجاهاتها ومعالمها.

وطريقة المؤلف في بحثه تعتمد على الأسس التالية:

1- نصوص القرآن والسنة ، وذلك بتتبع جميع الآيات والأحاديث التي تتصل بموضوع مـــن الموضوعات ، مراعياً في فهم الآيات تفسير الصحابة والصدر الأول دون التأويلات الشاذة.

2- الاسترشاد بآراء السلف الأول في فهم الإسلام ، والاستئناس برأي من جاء بعدهم في مختلف العصور.

3- الـربـــط بين الأحكام الجزئية ، وجمع شتاتها ، واستخراج الأفكار العامة والقواعد الكلية التي تنتظمها ، دون التزام التصنيفات والتقسيمات التي اعتمدها المؤلفون القدامى.

4- بذل الجهد في أن يكون تعليل الآراء وحكمة الأحكام من الـنـصـوص الأصلية نفسها ، والبعد عن التعسف في التأويل والتعليل ، والبعد عن الآراء الشاذة.

5- صياغة الأفكار صياغة تتناسب مع المخاطبين في هذا العصر من حـيـث طـريقـتهـم فـي الـتـفـكـيـر وأسـلـوبهم في التعبير، مــع الحـفـــاظ على المفاهيم الإسلامية دون انتقاص أو تحريف(6).

- 4 -

وهناك كُتّاب آخرون أيضاً عرضوا لفكرة جديدة أو منهج جديد في الكتابات العقدية ، ومن ذلـك مــا قـام بـه الـدكتور عبدالمجيد النجار في كتابه »فقه التدين فهماً وتنزيلاً« (الـجـــزء الثاني)، ومقدمته لكـتـــاب »تفصيل النشأتين« للراغب الأصـفـهـــاني وضــع فيها بين أيدي الباحثين مخططاً عاماً لمــا يمكن أن يكون بنية عامة لـمـنـظومة إسلامية في »الإنسـان« تستمد مادتها من العقيدة الإسلامية(7).

الهوامش :

(1)مقومات التصور الإسلامي للأستاذ سيد قطب ، ص 1 ؛ وانظر أيضا ص 79.
(2)خصائص التصور الإسلامي ، مقتطفات من ص (1619).
(3)المرجع نفسه ، ص 1314.
(4)مقومات التصور الإسلامي ، ص 38.
(5)انظر: العقيدة في القرآن ، طبع دار الفكر ، بيروت.
(6)نظام الإسلام: العقيدة والعبادة ، ص 2125.
(7)انظر: تفصيل النشأتين ، تقديم المحقق ، ص 9 وما بعدها ، وقد أشار إلى جملة ممن كتب في موضوع »الإنسان« وعجبت من أنه لم يشر إلى أول من خص هذا الموضوع بكتاب رائد فريد ، وهو الأستاذ سيد قطب رحمه الله ، فلست أدري هل اطلع على »الخصائص والمقومات« أم لم يطلع عليها؟ وقد صدرا منذ أمد ، وتكررت طباعتهما ، وصدرت دراسات عنهما في المغرب العربي الذي يعيش فيه الدكتور النجار بعد دراسته في مصر.
* وقام قبلهم أئمة السلف ببيان أصول ومسائل العقيدة من الكتاب والسنة الصحيحة بعيداً عن الفلسفة وعلم الكلام والمنطق.
**كتاب (الإسلام والعدالة الاجتماعية) لا يمثل فكر الأستاذ سيد قطب رحمه الله فيما انتهى إليه من نضج فكري ، إذ أن هذا الكتاب من أولى دراساته الإسلامية وتضمن بعض الهنات والملحوظات التي لا تخفى على المتأمل - البيان -

---

دراسات تاريخية

منهج التفسير التاريخي

قواعد منهجية في تفسيرالحوادث والحكم عليها (2)

د. محمد آمحزون

تـمـهـيـد:

في الحلقة الأولى تطرق الكاتب لبيان المقصود من دراسة التاريخ ، وماذا يعني بالمنهج وبين أنه قسمان: منهج التوثـيـق ، ومنهج التفسير التاريخي ، وهو ما اقتصر على بيان دوره في دراسة التاريخ وفقاً للتصــور الصحيح المبني على الموازين الشرعية ، ثم بدأ ببيان القواعد المنهجية لتفسير الحوادث والحكم عليها ، وذكر ثلاثاً منها وهي:

القاعدة الأولى: اعتماد الـمـصـادر الشرعية وتقديمها على كل مصدر فيما نصت عليه من أخبار وضوابط وأحكام.

القاعدة الثانية: الفهم الصحيح للإيمان ودوره في تفسير الأحداث.
القاعدة الثالثة: أثر العقيدة في دوافع السلوك لدى المسلمين.
ويواصل الكاتب عرض بعض منها فيما يأتي:
- البـيـان -

القاعدة الرابعة العوامل المؤثرة في حركة التاريخ:

إن المنهج الإسلامي لدراسة التاريـخ منهج شامل لكل الدوافع والقيم التي تصنع التاريخ ، وهو غير واقف أمام حدود الواقع الـمـادي المحدود الظاهر للعيان فقط بل إنه يتيح فرصة لرؤية بعيدة ، يستطيع المؤرخ معها أن يقـدم تقييماً حقيقياً وشاملاً أكثر التحاماً مع الواقع لأحداث التاريخ الإنساني،وذلك لأنه يأخذ في الحسبان مدى أثر العوامل المادية والنفسية المحيطة بالإنسان، مـع مـراعـاتـهـا والاعـتـراف بهـا كافةً،دون تضخيم لبعضها أكثر من حجمه ، وقبل هذه العوامل ومعها وبعدها قدر الله جـــل وعلا وأمره النافذ ، فإنه لا راد لقضائه وأمره.

وهذا سر المفارقة بين المنهج الإسلامي وبقية المناهج الأخرى الوضعية التي تفسر التاريخ تفسيراً عرقياً أو جغرافياً أو اقتصادياً أو نفسياً ، ولم تحسب حساباً لكافة العوامل المؤثرة في حركة التاريخ ، وإنما اكتفى كل واحد منها بعامل وضخمه ، وفسر به تاريخ الإنسان كله.

إنه لابد من ملاحظة كل العناصر الفاعلة في الحدث التاريخي من عوامل مادية ومعنوية، فالإنسان ذو أبعاد فسيحة وأغوار عميقة ، وكل الظواهر التي تتصل به على درجة عالية من التعقيد في الأفكار والمبادئ والـمـواقف والعادات وفي الاجتماع والاقتصاد... كل أولئك يتشكل ويتبلور نتيجة نسيج معقد من العوامل.

وإذا كان هذا هو الواقع ، فإن تفـسـيـر أية ظاهرة إنسانية وتعليلها بعلة مفردة غير صحيح ولا دقيق ، ولنضرب مثالاً على ذلك بمـوقـعـة بدر الكبرى هـــل كان هناك سبب أو عامل واحد أدى إلى انتصار المسلمين ، أم يا تُرى تضافــرت عدة عـــوامــل ليتوج بها المسلمون انتصاراتهم على أعدائهم الذين يفوقونهم عدداً وعدة.

مما لا شك فيه أن المتأمل في هذا الحدث الفاصل فـي تاريخ الإســلام يجد بعد الاستقراء والدراسة أن عدة أسباب ساهمت في انتصار المسلمين وهي:

أولا: العقيدة الراسخة: إذ كان للمسلمين هدف معين ومحدد وهو نشر الإسلام حتى يكون الدين كله لله ، وتكون كلمة الله هي العليا.

ثانياً: الـمـعـنـويات العالية: فقد كانت معنويات المسلمين في بدر عالية جداً نظـراً لثقتهم الأكيدة بوعد الله ونصره.

ثالثاً: الشورى: وهو المبدأ الذي التزم به الرسول -صلى الله عليه وسلم- منذ خروجه إلى بدر.

رابعاً: القيادة الموحدة: فقد كان الرسول -صلى الله عليه وسلم- هو القائد العام في معركة بدر وكان المسلمون يعملون يداً واحدة تحت قيادته ، وكان انضباطهم مثالاً رائعاً للانضباط الحقيقي.
خامساً: التعبئة الجيدة: فقد طبق الرسول -صلى الله عليه وسلم- أثناء اقترابه من بدر تشكيلة لا تختلف عن التعبئة الحديثة في حرب الصحراء ، حيث كان للمسلمين مقدمة وقسم أكبر ومؤخرة ، كما استفاد النبي عليه الصلاة والسلام من دوريــات الاسـتـطــلاع للحصول على المعلومات.
سادساً: معرفة طبوغرافية أرض المعركة: حيث كان الرسول -صلى الله عليه وسلم- أشد حرصاً على دراســـة أرض المعركة ، والتعرف على ظاهراتها الطبيعية قبل أن يدفع قواته إليها ، وبتعرف الـمسلمين على تضاريس أرض بدر سيطروا على موارد المياه ببدر وعطلوا الآبار في الجهة التي يفترض أن يقدم إليها المشركون.
وهــكــذا فإن انتصار المسلمين لا يرجع إلى سبب أو عامل واحد ، بل أثرت عدة عوامــل إيمانية ونفسية وتنظيمية واستراتيجية وجغرافية في نتيجة المعركة لصالح المسلمين.
ولنعط مـثــالاً آخــر: فلا يمكن أن يقال مثلاً: إن الشعب الأفغاني صمد في وجه المحتلين بسبب إيمانه ، أو بسبب صعوبة تضاريس أرضه من جبال وكهوف أو بسبب رصيد الفطرة لديه ، أو بسبب العون الخارجي ، أو بسبب وجود قواعد خلفية له في بلد مجاور..
إنه لم ينفرد سبب واحـــد مـــن هذه الأسباب بولادة ظاهرة الصمود ، بل إنها جميعاً مع أسباب أخرى أسهمت في إيجاد وضع متميز يستمد تميزه من خصوصية شروطه وأسبابه.
إن إدراك مقومات النفس الإنسانية جميعها روحية وفكرة وجسدية لا يتوفر في غير المنهج الإسلامي ؛ لأن التصور الصحيح عن هذه القضايا المؤثرة والفاعلة في الحدث التاريخي لا يمكن معرفته إلا عن طريق الوحي المعصوم من الخطأ »الكتاب والسنة«.
فبواسطة التلقي من الوحي يـعـــرف الـمسلم هذه العوامل ، ويعرف قدر كل عامل وقيمته وتأثيره في النفس ، والنسب الصحيحة للـعــلاقات بين تلك العوامل جميعاً ؛ لأن مصادر تلقيه من لدن الله جل وعلا ، الحكيم الخبير الذي يعلم خبايا النفس الإنسانية ولا يغيب عن علمه مثقال ذرة في الأرض أو في السماء.

القاعدة الخامسة العلم بمقادير الناس وأحوالهم ومنازلهم والتثبت فيما يقال عنهم:

يقول الخليفة الراشد عثمان بن عفان رضي الله عـنــه في هذا الصدد: »واحفظ لكل منزلته وأعطهم جميعاً بقسطهم من الحق ، فإن المعرفة بالناس بها يصاب العدل«(1).

وقد قعّد ابن تيمية رحمه الله بواسع علمه وعميق فهمه قاعدة جليلة في الإفتاء في أي قضية يراد معرفة حكم الله فيها، وذلك في بداية فـتــواه الشهيرة عن التتار وحكم قتالهم ، فقد ذكر أن الحكم على أي طائفة أو قوم يقوم على أصلين: أحدهما المعرفة بحالهم ، والثاني معرفة حكم الله في أمثالهم ، وهذان الأصلان يقومان على الحكم المنافي للجهل ، إذ الكلام في الناس لا يجوز بغير علم وبصيرة«(2).

وعلى هذا الأساس ينبغي التحري فيما يروى عن الوقائع التي كانت بـيـــن أعيان الصدر الأول من الصحابة رضي الله عنهم فالمعرفة بحالهم تـدل على كـمـــال إيمانهم وصدقهم وحسن سريرتهم وفعلهم للخيرات وتضحيتهم بالنفس والنفيس في سبيل الحق ، كل ذلك يرفع منازلهم إلى درجات عالية مما يجعلهم جميعاً من لابس الفتن منهم ومن لم يلابسها أهلاً للاقتداء بهم،وأهلاً للرواية، تقبل أخبارهم في أعلى درجات القبول، وتوزن أعمالهم بميزان الورع والإحسان، مما ينفي عنهم ما نسب إليهم من أوصاف سيئة، هذا علاوة على بيان حكم الله فيهم ، إذ تواترت النصوص الشرعية في تزكيتهم وتعديلهم.

فلا جدال في أن الصحابة رضوان الله عليهم قدوة لكل مسلم فيما يتعلق بأمور الدين ، ولا مجال للطعن في تدينهم وصحة عقيدتهم وسلامة أخلاقهم ، لكن ذلك لا يمـنـــع أن يقع منهم الخطأ ، إذ ليسوا معصومين ، ولذلك فإن ما وقع بينهم من خلافات سياسية هي من قـبـيـل الأمور الاجتهادية التي لا تقدح في مكانتهم السامية ، وإذا سجل التاريخ تـلــك الخلافات فلا ينبغي أن تحمل على محمل الانتقاص منهم.

وقد أمـــر الله جـــل وعلا المؤمنين بالرجوع إلى ما علموا من إيمان إخوانهم الذي يدفع السيئات ، وأن يعـتـبـروا هذا الأصل العظيم ولا يعبؤوا بكلام المتربصين والمغرضين الذي يناقضه ويقدح فيه ، فيحسنوا الظن بإخوانهم ، بل يدحضوا ما يروج ضدهم من شائعات وافتراءات تمس كرامتهم ، وتحط من أقدارهم.

يقول الله تعالى زجراً للمؤمنين عن مجاراة الشائعات التي يتقولها أهل السوء في إخوانهم المؤمنين:((لولا إذ سمعتموه ظن المؤمنون والمؤمنات بأنفسهم خيراً وقالوا هذا إفك مبين))(3) وقال تعالى:((ولولا إذ سمعتموه قلتم ما يكون لنا أن نتكلم بهذا، سبـحـانـك هــذا بهـتـان عظيم))(4).

وقــد دلــت الآيـتـان على قاعدة مهمة وهي: »الرجوع إلى الأمر المعلوم المحقق للخروج من الشبهات والتوهمات ، وقد يعبر عنها بأن الموهوم لا يدفع المعلوم وأن المجهول لا يعارض المحقق«(5).

وبناء على هذا لابد من الرجوع إلى المصادر الأصلية الموثوقة لمعرفة الحقيقة ، فلا يؤخذ من الكذابين والفاسقين وأصحاب الأهواء لأن فسقهم وهواهم يدفعهم إلى تصوير الأمر على خلاف حقيقته ، وإن المرء المسلم مطالب شرعاً بالتثبت والتبيّن مما يسمع ، لقوله تعالى: ((يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا أن تصيبوا قوماً بجهالة فتصبحوا على ما فعلتم نادمين))(6).
ولقول الرسول : »كفى بالمرء كذباً أن يحدث بكل ما سمع«(7) ، وقوله: »إياكم والظن ، فإن الظن أكذب الحديث«(8) ، ولذلك كانت عناية علماء أهل السنة موجهة إلى بيان من يحمل عنه العلم أو الخبر ، ومن لا يؤخذ عنه كقول بعضهم في هذا الباب: »باب النهي عن الرواية عن الضعفاء والاحتياط في تحملها«(9)،إذ أن تقدير الرجال لا يؤخذ إلا من العالم العارف الثقة البصير بأحوال المسلمين.
وهناك مجموعة من المقاييس ينبغي الأخذ بها في هذا الشأن ، وهي:
*عدم إقحام الحكم على عقائد ومواقف الرجال بغير دليل في ثنايا سرد الأعمال ، إذ أن الحكم على أقدار الناس يجب أن يكون قائماً على حسن الظن حتى يثبت خلاف ذلك.
*عدم تجاوز النقل الثابت إلى إيراد الظنون والفرضيات، ومن فضل الإسلام أن نهى عن ذلك ، ولم يفعل هذا مؤرخ فاضل، ولم يقل أحد أن حسن الأدب هو السكوت عن الكذب، وإنما حسن الأدب هو رده وتنقية سيرة الصدر الأول منه ، كما أن حسن الأدب يقتضي السكوت عن الظنون ، والكف عن اقتفاء ما لا علم لنا به يقيناً ، وكثيراً ما تلح على المرء في هذا شهوة الاستنتاج ودعوى التحليل ، وقد أمرنا الشرع أن تكون شهادتنا يقينية لا استنتاجية فيما نشهد من حاضرنا، ففي الآية ((إلا من شهد بالحق وهم يعلمون))(10)، فكيف بمن يشهد بالظن والهوى فيمن أدبر من القرون؟!
*إن الإسلام له منهجه في الحكم على الرجال والأعمال ، فهو يأمر بالشهادة بالقسط وعدم مسايرة الهوى في شنآن أو في محبة ، ويأمر باتباع العلم لا الظن ، وتمحيص الخبر والتثبت فيه أن يصاب قوم بجهالة ، وهذا في حق كل الناس ، فكيف بخير القرون؟!

القاعدة السادسة الكلام في الناس يجب أن يكون بعلم وعدل وإنصاف:

والأصل في هذه القاعدة قوله تعالى: ((يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين لله شهداء بالقسط، ولا يجرمنكم شنآن قوم على ألا تعدلوا ، اعدلوا هو أقرب للتقوى ، واتقوا الله ، إن الله خبير بما تعملون))(11).
يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: »والكلام في الناس يجب أن يكون بعلم وعدل ، وليس بجهل وظلم كحال أهل البدع«(12).

ويدخل ضمن هــذه الـقـاعــدة الـعـدل في وصف الآخرين ، والمقصود به هو العدل في ذكر المساوئ والمحاسن والموازنة بينها.
فمن المعلوم أن أحداً لا يسلم من الخـطــأ لقــول النبي : »كل بني آدم خطاء«(13) ، ولذلك ينبغي للمسلم إذا وصف غيره ألا يغفل المحاسن لوجود بعض المساوئ ، كما لا ينبغي أن يدفن المحاسن ويذكر المساوئ لوجود عداوة أو شـحـنــاء بينه وبين من يصفه ، فالله عز وجل أدبنا بأحسن الأدب وأكمله بقوله: ((ولا تبخسوا الناس أشياءهم))(14).
وحين نجد من يذم غيره بذكر مساوئه فقط ، وبغض النظر عن محاسنه فإن ذلك يرجع في العادة إلى الحسد والبغضاء أو إلى الظنون والخلفيات والآراء المسبقة،أو إلى التنافس المذموم، ولكن المنصفين هم الذين يذكرون المرء بما فيه من خير أو شر ولا يبخـسـونه حقه، ولو كان الموصوف مخالفاً لهم في الدين والاعتقاد أو في المذهب والانتماء.
ومن العلماء الذين برزوا في هذا الشأن الحافظ الذهبي رحمه الله فمن خلال كتابه النفيس »سير أعلام النبلاء« أنصف من ترجم لهم من الأعلام فلم يبخس أهل البدع أو الفسق ما لهم من صفات جيدة ، بل أنصفهم بذكر ما لهم وما عليهم ، يقول مثلاً عن الأشتر النخعي: »أحد الأشراف الأبطال المذكورين، وكان شهماً مطاعاً زعراً (15) ألّب على عثمان وقاتله ، وكان ذا فصاحة وبلاغة«(16).
ويقول في ترجمة الحكم بن هشام: »وكان من جبابرة الملوك وفساقهم ومتـمـرديـهـم ، وكان فارساً شجاعاً ، فاتكاً ذا دهاء وعتو وظلم ، تملك سبعاً وعشرين سنة«(17).
ويقول في ترجمة الجاحظ الأديب المعتزلي: »العلامة المتبحر ذو الفنون وكان أحد الأذكياء، وكان ماجناً قليل الدين ، له نوادر«(18).
وقال عن عبدالوارث بن سعيد: »وكان عالماً مجوداً ، ومن أهل الدين والورع ، إلا أنه قدري مبتدع«(19).
وقال أثناء حديثه عن ثابت بن قرة:»الصابئ الشقي الحراني، فيلسوف عصره، وكان يتوقد ذكاءً«(20).
ومنهج الذهبي هذا في العدل والإنصاف في وصف الآخرين منهج علمي دقيق ، وهو منهج أهل السنة والجماعة في حكمهم على غـيـرهم ، ولذلك ينبغي لكل من رام الإنصاف أن لا يحيد عن هذا المنهج السوي المعتبر ، وأن يتقي الله عز وجل في وصف من يترجم لهم ، أو يتحدث عنهم من الحكام والقادة والعلماء والفقهاء والإخباريين والمؤرخين وغيرهم، ويتكلم بعدل وإنصاف.

القاعدة السابعة العبرة بكثرة الفضائل:

فإن الماء إذا بلغ القلتين لم يحمل الخبث ، وكذلك من غلبت فضائله هفواته اغتفر له ذلك ، وفي هذا الصدد يقول الحافظ الذهبي: »وإنما العبرة بكثرة المحاسن«(21).

وهذه القاعدة جليلة تعد بمثابة منهج صحيح في الحكم على الناس ؛ لأن كل إنـســان لا يسلم من الخطأ ، لكن من قل خطؤه وكثر صوابه فهو على خير كثير ، والإنصاف يقتضي أن يغتفر للمرء الخطأ القليل في كثير صوابه.
ومنهج أهـل الـسـنـة هو اعتبار الغالب على المرء من الصواب أو الخطأ والنظر إليه بعين الإنصاف.
وهناك قاعدة أخـــرى يمـكـن اعتبارها في هذا الباب وهي »العبرة بكمال النهاية لا بنقص البداية«(22).

القاعدة الثامنة إحالة الحوادث على الخطأ في الاجتهاد:

أما إن المجتمع الإسلامي يسير على السنن الطبيعية لكل المجتمعات ، فهذا حق ، ونحن لا نعصم فرداً أو مجتمعاً من أن تسري عليه هذه السنن ، إلا أن يكون نبياً أو رسولاً ، ومن هـنـا يجب أن نعلم أن الذين صـنـعـوا التاريخ رجال من البشر يجوز عليهم الخطأ والسهو والنسيان وإن كـانــوا من كبار الصحــابـــة وأجلائهم ، إلا أنه ينبغي إحالة الحوادث إلى الخطأ في الاجتهاد، ونـذكـر مــا ورد عنه صلى الله عليه وسلم من أن المجتهد المخطئ له أجر، والمصيب له أجران(23) فهو على كل حال مأجور ، فلا ننقصه وقد آجره الله، كما أنه قد تشهد له دلائل وفضائل أخرى ، وتشفع له مواقف ثابتة.
وعـلـيـه فـإنه ينبغي للمسلم أن يرد كل خبر يطعن في عدالة الصحابة ، وأن ينزه أصحاب رســـــول الله -صلى الله عليه وسلم- عن الطـمـــع والشح والغدر والخديعة والغفلة واللؤم والفسق والـظـلـم والاسـتـبداد وأكل الأموال بالباطل ، وكل الأخلاق التي تطعن في العدالة وتعد من الفسق وخوارم المـــــروءة ، وأنهم إن كـانـــوا غير معصومين فهم عدول ، وأن ما اجتهدوا فيه سواءً أتعلق بالدمـــــاء أم تعلق بالأموال فهم فيه مأجورون ، وأنهم إن جازت عليهم المعاصي إلا أنهم يتوبون ويـسـتـغفرون فيتوب الله عليهم ويغفر لهم ، وأن لهم فضل الصحبة التي خصوا بها ، ونالوا بها من الفضل ما لم يدركه أحد بعدهم.

الـهـوامـش:

(1)الطبري: تاريخ الرسل ، ج ، ص 279.
(2)ابن تيـمـية: مجمـوع الفـتـاوى ، ج28 ، ص 510.
(3)سورة النور:12.
(4)سورة النور:16.
(5)عبدالرحمن السعدي: القواعد الحسان لتفسير القرآن ، ص 195.
(6)سورة الحجرات:6.
(7)أخرجه مسلم في الجامع الصحيح ، باب النهـي عن الحديـث بكل ما سـمع ، ج1 ، ص 72.
(8)أخرجه البخاري في الجامع الصحيح ، كتاب الأدب ، ج7 ، ص 288.

(9)انظر صحيح مسلم ، ج1 ، ص 76.
(10)سورة الزخرف:86.
(11)سورة المائدة:8.
(12)ابن تيمية: منهاج السنة ، ج 4 ، ص 337.
(13)رواه أحمد في المسند ، ج3 ، ص 198.
(14)سورة هـود:85.
(15)أي شرساً سيء الخلق ، انـظر: لسان العرب.
(16)الذهـبـي: سيـر أعلام النبـلاء ، ج4 ، ص 34.
(17)المصدر نفسه ، ج8 ، ص 254.
(18)المصدر نفسه ، ج11 ، ص 526-527.
(19)المصدر نفسه ، ج8 ، ص 301.
(20)المصدر نفسه ، ج13 ، ص 485.
(21)المصدر نفسه ، ج20 ، ص 46.
(22)ابن تيمية: منهاج السنة ، ج8 ، ص 412.
(23)أخرجه البخاري في الجامع الصحيح ، كتاب الاعتصام بالسنة ، ج8 ، ص 157.

خواطر في الدعوة

أنـمـاط مـن الـتـفـكـيـر!

محمـد الـعـبـدة

يتهم الغربيون والمستشرقون منهم بـشـكـل خـــاص يتهمون المسلمين بأنهم أصحاب (تفكير ذري) ويعنون بهذا أن الطريقة التي يواجه بها المسلم أمور الحياة هي أن يبحث كل قضية أو جزئية لوحدها، وبمعزل عن الجزئيات الأخرى فلا يتسنى له الإحاطة بالموضوع،ووضع الكـلـيات العامة التي تجمع شتاته وتوضح علله ومقاصده ، وهو ما يسمى عندهم (فلـسـفـة العلوم).
هذا مــا يـردده الـغـربـيـون والحقـيقة أن هذه التهمة تدل على خبث الطوية قبل أن تدل علىالسطحية أو السذاجة،وكأنهم يريـدون تحـطـيـم نفـسية المسلم وإشعاره بأنه ليس على شيء ، وذلك لأن أي دارس لتراث المسلمين سيرى العكس تماماً ، وأن تلك الاتهامات هي محض افتراء،وإلا فمن الذي وضع أصول الفقه، وتكلم عن مقاصده؟ ومن الذي ضبط العلوم الإسلامية بأصول وقواعد مثل أصول التفسير ، وأصول الحديث ، وقواعد اللغة العربية؟
نعم إن هذا الذي قـــام به المسلمون كان في عصر المد الحضاري ، وأما في العصور المتأخرة، وعندما أصيبت الأمة بالجمود والضعف، وضعف العلم والاجتهاد،فإن هذا المرض (التفكير الذري) قد تسرب إلى عقول كثير من المسلمين ، وواقعنا اليوم يشهد على ذلك، وهذه أمثلة منه:

1 -رفع المسلمون ومنذ عقود من السنين شعار إصلاح الفرد ، وأنه بعد ذلك سيتم إصلاح المجتمع والدولة ، وكأن هذا الإصلاح سيتم بشكل آلي ، ولكن عند النظرة الفاحصة تجد أن الأمر ليس بهذه السهولة ، لأننا لا نستطيع إصلاح الـفـرد بمـعــزل عـــن التأثيرات الجانـبـيــة القوية التي تُصاغ بها شخصيته ، فلابد أن تكون التربية وخطة الإصــلاح والتغيير شاملة للفرد والأسرة والمجتمع ، ولابد من إحاطة الفرد بأجواء صحية أو قريبة منها حتى تستقيم لنا عملية التغيير.

2 -بعض الشباب المسلم إذا سمع عن عالم كبير قد أتقن كثيراً من علوم الشريعة ، يظن أن هذا العالم لابد أن يجيب عن كل الأسئلة التي تدور على الساحة الإسلامية ، بل يستطيع حل كل مشكلات المسلمين المعقدة وهــذا ليس بالتأكيد ، فقد يملك إجابات كثيرة وتفوته أشياء ، وقـــد يكون متقناً لجوانب وضـعيـفـاً في أخرى ، ولا يعني هذا الانتقاص منه بأي حال من الأحــــوال ، فعدم الإحاطة بمثل هـــذا الموضوع يجعل الشاب ينظر هذه النظرة الجزئية.

3 -يحذر أحد الدعاة تلامذته وصحبه من إهمال الدعوة إلى الله ، ويرفع شعار (لا تعطوا الدعوة فضول أعمالكم) ، وهو شعار صحيح ، ولكن هؤلاء التلاميذ يفهمون هذه النصيحة بأن يتركوا واجباتهم الأخرى ، مثل الدراسة أو العمل أو بر الوالدين ، مع أن الجمع بين كل هذه الواجبات ليس بالأمر العسير.

وقد سرى هذا الداء إلى مجموع الأمة ، فلا نجد نظرات بعيدة المدى، ولا تخطيط شامل ، بل كل فئة أخذت جزءاً من الإسلام وانشغلت بـــه واستغرقت فيه ، وشنعت على الفئات الأخرى ما تقوم به ، وإن الإحاطة بمفهوم هذا الدين ومقاصده الكبرى لإصلاح البشرية ، مما يسهل إنشاء الدعوة ، وقبول الناس لها وإن المسلم ليملك القابلية لأن يستوعب شمولية الإسلام ، ولكن أين التربية المتكاملة؟

دراسات اقتصادية

الإسلام والقضايا الاقتصادية المعاصرة
معالجة الأزمات الغذائية
- 2 -

د. محمد بن عبد الله الشباني

في العدد الماضي تطرقت إلى بعض مـن جـوانب كيفية معالجة الأزمات الغذائية على ضوء التصور الإسلامي باستعراض بعض الأحاديث التـي وضحت كيفية معالجة النقص الفعلي للمواد الغذائية أو غيرها من السلع ، وفي هذا العدد سوف أعالج جانباً آخر من الجوانب التي قد تؤدي إلى بروز ظاهرة

الأزمات الـغـذائـيــة أو النقص في السلع التي يحتاج إليها الأفراد ، هذا الجانب هو الجانب الكمي للسلع وكـيـفـيــة التحكـم في ميكانيكية العرض والطلب ، أي التحكم في حركة السوق.
لقد جاءت أحاديث عديدة تعالج هذا الجانب بشكل يتفق مع واقع الحياة ولا يتعارض مع ميكانيكية السوق ، بل إنه يحفزها بالشكل الذي يجعل لميكانـيـكـيــة السوق دور في تنظيم العرض والطلب بالأسلوب الذي يخدم حركة التبادل التجاري.
روى البخاري عن نافع أن عبد الله بن عمر حدثه »أنهم كانوا يشـتــرون الطعام من الركبان على عهد النبي -صلى الله عليه وسلم- فيبعث عليهم من يمنعهم أن يبيعوه حيث اشتروه حتى ينقلوه حيث يباع الطعام« (1) ، وفي رواية للبيهقي: كنا نتلقى الركبان فنشتري منهم الطعام فنهانها النبي -صلى الله عليه وسلم- أن نبيعه حتى نبلغ به سوق الطعام ، وذكر البيهقي في سننه أن الغاية من منع البيع حتى ينقلوه إلى سوقه لئلا يـغـلـــوا الطعام هناك على من يفد ، وأنه في ذلك الموقع أرخص.
كما روى البخاري وأحمد وأبو داود عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله »قال: لايبع بعضكم على بيع أخيه(2) ، كما رُوي في الموطأ وفي السنن للبـيـهـقــي عـــن عبدالرحمن بن أبي ربيعة أن عمر بن الخطاب خرج إلى السوق فرأي ناساً يحتكرون بفضل أذهابهم فقال عمر لا ونعمة عين يأتينا الله عز وجل بالرزق حتى إذا نزل بسوقنا قام أقوام فاحتكروا بفضل أذهابهم عن الأرملة والمسكين إذ خرج الجلاب باعوا على نحو ما يريدون مـــن التـحـكـم ، ولكن جالب جلب على عمود كبده في الشتاء والصيف حتى ينزل سوقنا فذلك ضيف لعمر فليبع كيف شاء الله وليمسك كيف شاء الله.
كما رُوي عن سعيد بن المسيب أن عمر بن الخطاب مر بحاطب بن أبي بلتعة بسوق المصلى وبين يديه غرارتان فيهما زبيب فسأله عن سعرهما فسعر له (مدّين) لكل درهم فقال له عمر رضي الله عنه حُدثتُ بعير مقبلة من الطائف تحمل زبيباً ، وهم يعتبرون بسعرك فإما أن ترفع في السعر وإما أن تدخل زبيبك البيت فتبيعه كيف شئت ، كما روى مالك عن سالم بن عبد الله عن أبيه أن عمر بن الخطاب كان يأخذ من النبط من الحنطة والزيت نصف العشر ، يريد بذلك أن يكثر الحمل إلى المدينة ويأخذ من القطنية العشر.
بدراسة الأحـــــاديث والآثار السابقة نجد أن الإسلام عالج جانب العرض والطلب للسلع باستخدام بعض الأساليب التي تساعد على تحقيق التوازن بين العرض والطلب ، وتؤدي بالتالي إلى استقرار السوق ، وإبعاد الوسائل المؤثرة على منحنى العرض والطلب ، وتتمثل هذه الاجراءات العملية في الأمور التالية:
أولا: إزالة إمـكــانـيــــة ظاهرة التأثير الكاذب على العرض أو الطلب والذي قد يؤدي إلى تذبذب الأسعار مما قد يـســيء إلـى المشتـرين والبائعين ؛ لهذا

نجد أن المنهج الإسلامي التطبيقي يحبذ وجود الأسواق المتخصصة والتي يتم فيها البيع والشراء في سلع معينة مع منع البيع خارج هذه الأماكن ، وهو بهذا يحقق عنصراً مهماً من عناصر فعالية ميكانيكية السوق وهو اجتماع البائعين والمشترين في مـكـان واحـــد ، والغرض من ذلك تحقيق السعر العادل ، وعلى ذلك نفهم الغاية من نهي الرسول -صلى الله عليه وسلم- عن الطعام قبل وصوله إلى سوق الطعام ، حيث يوجد المشترون الراغبون في الشراء والبائعون الراغبون في البيع ، ويتحقق بذلك حماية المشترين من احتكار بعض الفئات كـمـا يحمي البائعين من حصول الغبن الذي قد يصابون به من جراء تلقي بعض الــمـشــتـريــن لهـذه السلـع قبل وصولها، ويندرج ضمن هذا المفهوم منع احتكار بيع سلع معينة لأشخاص معينين، وهو ما يعرف بنظام الوكالات التجارية لأنه يشبه بيع الحاضر للبادي وهــذا النوع من الاحتكار يعاني مـنـه الناس كثيراً حـيث يتحكم الوكيل في سـعر بيـع السلع ، وسعر قطع غيارها إذا كانت سلعة رأسمالية ، وهو أمر مشاهد في النظام الرأسمالي ، كما أنه يتحكم في وجود سلع تعوّد عليها الناس واحتكرت له ، فأصبح الوكيل هو البائع الوحيد للمنتج مما يجعله يتحكم في الأسعار كيف يشاء.

ثانياً: حق الدولة في التدخل لمنع الظروف التي تجعل أصحاب رؤوس الأموال يتحكمون في احتكار السلع بسبب قدراتهم المالية ، فنجد أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه عمد إلى حماية البائعين الذين يجلبون السلع من خارج مكان تسـويقها ، وذلك بتوفير ظـروف وجـودها لهم في السـوق فأمر بأن يتم إطعام وإسكان الجالبين للسلع من خارج المدينة بأن تتولى الدولة توفير أماكن للسكن والإقامة والتخزين للسلع ، وذلك بأن تتولى الدولة توفير مخازن عامة في كل بلدة لتخزن فيها السلع التي ترد إلى المدينة أو القرية ، وهذه المخازن تعود ملكيتها للدولة وتؤجر بسعر زهيد أو مجاناً مع توفير مساكن يقطنها الجالبون للسلع خلال فترة تواجدهم للبيع ، إما مجاناً أو بأسعار زهيدة تشجع على البقــاء لفترة كافية تـسـاعـد على إيجاد السلع للراغبين في الشراء من أهل القرية أو المدينة ، أي أن الأمـــر متروك لـلـدولـــة الإسلامية وفق الظروف المتاحة لها لاتخاذ الأساليب التي تشجع على استقرار الأسعار ووجود السلع بدون احتكار لها.

ثالثا: تعمد الدولة إلى التدخل لتحقيق الاستقرار السعري للسلع، أي منع الانهيار السعري للـسـلـع من خلال تنظيم وجود السلع في السوق لمنع ظروف الندرة، ولا يـتـأتـى ذلـك إلا بمراعاة ظروف العرض والطلب ، وما فعله عمر رضي الله عنه مع حاطب ، إنما هو دليل يمكن الأخذ به وذلك بحق الدولة في التدخل في العمل على استقرار الأسعار؛ لما يعود على حركة التبادل التجاري بالمنفعة، حيث أن من واجبات الدولة العمل على توفير السلع في الـســوق، وتشجيع حركة التبادل التجاري بين مختلف الأقطار والأقاليم، وهذا لا يمكن تحقيقه في ظل ظروف فـساد السـعر السوقي فعمل عمر مع

حاطب يرشد إلى أن على الدولة التدخل لحماية الأسعار حتى لا يؤثر ذلك مستقبلاً على حركة التبادل ، وبالتالي حتى لا يحدث نقص في السلع مما يؤدي إلى ارتفـاع الأسـعار وحصول الشـح أي أن على الدولة تحقيق السعر العادل لمختلف السلع والخدمات ومنع الأفراد الذين قد يعمدون إلى إفساد السوق من خلال تخفيض السعر مؤقتاً ، ثم رفعه في فترة لاحقة بعدما يقل توافر السلع ، أي محاربة ما يعرف في هذا العصر بسياسة الإغراق المتمثلة في تخفيض الأسعار بأقل من التكلفة الذي تعمد إليه بعض الدول أو بعض التجار عند غزو سوق من الأسواق من أجل السيطرة عليه مستقبلاً ، وتحقيق فرق السعر الذي يتم بتخفيض أسعار السلع خلال فترة الإغراق بعد ذلك ، وتحقيق السعر الذي ترغبه بعد أن يفسد السوق ويقل العرض فيه.

رابعاً: استخدام الضرائب الجمركية كأداة لتحقيق وجود السلع في السوق ، أي أن تكون الضرائب الجمركية أداة مالية لتحقيق التوازن في حجم العرض مع الطلب ، أي أن وظيفة الـضـرائـب الجمــركية لا يقصد منها زيادة موارد الدولة المالية كهدف ، وإنما هي أداة لتحقيق كفاية وجود السلع في السوق المحلي ؛ لهذا يمكن للدولة الملتزمة بتطبيق التشريع الاقتصادي الإسـلامـي اسـتـخـدام هـذه الأداة المالية كأسلوب من أساليب تحقيق الحجم الأمثل في وجود وتوافر السلع، وهي السياسة التي اتبعها الخليفة الراشد عمر بن الخطاب رضي الله عنه في سوق المدينة، وهي سياسة يمكن انتهاجها لكن لا بد من معرفة أن الغاية من السياسة الجمركية ليس زيـــادة الموارد ولا حماية فئات معينة من المنتجين المحليين على حساب المستهلكين ، وإنما يكون الهدف تحقيق التوازن الكمي بين العرض والطلب وفق السعر العادل الذي لا ضرر فيه ولا ضرار.

إن معالجة الإسلام لمشكلة الأزمات الغذائية لا يقتصر على الجانب التنظيمي فقط ، ولكن الإسلام ينظر إلى الجانب السلوكي للأفراد والذي قد يؤدي إلى إيجاد الأزمات السلعية ، فقد يكون السلوك من العوامل المؤثرة في تفاقم أزمات النقص في السلع وارتفاع أسعارها ، لهذا فقد عالج الإسلام هذا الجانب ضمن منهجه في التكامل في معالجة المشكلات ، فقد روى الإمام أحمد في مسنده عن عبد الله بن مسعود أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- نهى عن التبقر(3) في المال والأهل ، كما روى مسلم وأبو داود عن جابر بن عبد الله أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قال له فراش للرجل وفراش لامرأته والثالث للضيف والرابع للشيطان(4) ، ورُوي عن عروة بن شعيب عن أبيه عن جده أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قال كلوا واشربوا وتصدقوا والبسوا في غير مخيلة وسرف(5).

وباستقراء هذه الأحاديث نجد أن الرسول عليه الصلاة والسلام وجه الأمة إلى ضرورة إدراك أهمية السلوك الاستهلاكي في التأثير على وجود السلع وتوفرها ، وأن الإنفاق الزائد عن الحاجة مظهر من مظاهر التبذير التي لا يحبها الله ،

فهو مسلك شيطاني قد حذر القرآن الكريم من انتهاجه كما في قوله تعالى ((إن المبذرين كانوا إخوان الشياطين وكان الشيطان لربه كفورا))(6).
إن من المشاكل التي يعاني منها المجتمع المعاصر والتي لها دور كبير في التأثير على حركة الاقتصاد، الاتـجـــاه المتزايد إلى الإنفاق الاستهلاكي واستخدام جميع الوسائل الإعلامية لإيجاد هذا الاتجاه، إن تـزايـد الإنـفـــاق الاستهلاكي يؤثر على القدرة الإدخارية لأفراد المجتمع ، مما يؤدي إلى ضعف توافر المـــال الكافي للاستثمار ، مما ينتج عن ذلك خلل في الدورة الاقتصادية.
الـمـنـهج الإسلامي في معالجة أزمات النقص في السلع بما في ذلك السلع الغذائية ، مما له علاقة بالسلوك الاجتماعي والذي يؤدي إلى إيجاد أزمات النقص في السلع الغذائية،يتمثل في اتباع السياسات التالية:
1- ضـــرورة تقليص الإنفاق فيما لا تدعو الحاجة إليه ، مراعاة أن يكون الإنفاق الأسري متوازناً ، فلا يكون هناك توسع إنفاقي لا تدعو إليه الحاجة ولكن الإنفاق ينبغي أن يتقيد بمفهوم قوله تعالى ((ولا تبسطها كل البسط فتقعد ملوماً محسوراً))(7).
وعليه فإن الدولة التي تسترشد بالمـنـهـــج الإسلامي في معالجة أمورها الاقتصادية إصدار اللوائح التنظيمية التي تحد مثلا من الإسراف في الإنفاق الاستهلاكي الزائد عن الحاجة، ووضع الاجراءات التي تساعد على تقليص اتجاه الإنفاق الاستهلاكي مثل وضع الضرائب المرتفعة على سلع الترف للحد من شرائـهـــا على أن توجه حصيلة هذه الضرائب للإنفاق منها على تنمية المجتمع ومنع الإعلانات المشـجـعــة على شراء السلع الإستهلاكية وغير ذلك من الإجراءات التي تحد من التوجه الإستهلاكي المخل بتوازن الدورة الاقتصادية.
2- توجيه الأفراد إلى انتهاج سياسة تقليص الرغبة فـي التراكم السلعي بدون حاجة، وأن على الدولة انتهاج الأسلوب الذي يحد مـــن الميل إلى الـتـكـــالب على اقتناء السلع بدون حاجة سواء أكان ذلك بإصدار التنظيمات الإدارية التي تدفع الأفـــــراد إلى الإحجام عن تملك ما يزيد عن حاجتهم ، استرشاداً بالحديث النبوي الذي رواه جـابـر بــــن عبد الله بالابتعاد عن المنهج الشيطاني فـي الإســـراف بتملك ما لا حاجة إليه ، واتباع جـمـيـــع الوسائل والطرق التي تحقق غاية ضبط السلوك الاجتماعي بما يخدم فكرة التحكم في الميل الاستهلاكي.
3- منع المغالاة في الإنفاق بضبط السلوك الاستهلاكي ، والتدخل في تحديد رغبات الأفراد لما لذلك من تأثير في الميل الاستهلاكي والـــذي بدوره يؤثر على دورة النشاط الاقتصادي ، فتقليص الاستهلاك والحد منه قد يؤدي إلـــى التأثير على الاستثمار مما يسبب في ضعف حركة التبادل والإنتاج ولذلك ينبغي أن لا يُفهم من الحد من الإنفاق الاستهلاكي محاربة الإنفاق الاستهلاكي ، ولكن ينبغي أن يكون ضمن إطار عدم الإضرار بالنشاط الاقتصادي ، وأن يكون

الإنفاق الاستـهلاكي موجهاً نحو الـسـلـــع ذات العائد الإنتاجي ، أي أن يتم تشجيع الاستهلاك المـعـتدل الذي يحقق التوازن في حلقات الدورة الاقتصادية.

إن معالجة الإسلام لمـشـكـلـــة الأزمات الغذائية وفق ما تم استعراضه إنما ينبع من التصور الأساسي الذي يقوم عليه الـفـكـــر الإسلامي والمتمثل في الوسطية في معالجة الأمور ، فلا إفراط ولا تفريط ضمن المفهوم الذي شرعه الله في كتابه في قوله تعالى ((وكذلك جعلناكم أمة وسـطاً لتكونوا شـهداء على الناس))(8) وهذه الوسطية هي التي يدور عليها مدار الأمر في الإسلام عند معالجته لجميع القضايا الاجتماعية والاقتصادية.

الهوامش :

(1)البخاري ، ك البدع ، جـ3 ، ص 20.
(2)البخاري ، ك البدع ، جـ3 ، ص 24.
(3)التبقر: الكثرة والسعة.
(4)مسلم ، جـ2 ، ص237 ، ط دار الكتب العلمية.
(5)المخيلة: أي الكبر والسرف وتجاوز الحد في الإنفاق.
(6)سورة الإسراء:27.
(7)سورة الإسراء:29.
(8)سورة البقرة:143.

نصوص شعرية

خـيـام الـغـبـار

@تركي المالكـي

(1)

(حبةُ الرملِ) عطشى .. تجوبُ القفارْ!
(حبةُ الرملِ) ما زال ربانُها ..
مغرماً بـ (البحارْ)!!
خنقتها (الملوحةُ) لما تزلْ..
تتهادى على ..
سافـيات الـغبـارْ!
هي في (رحلة التِّيه).. تخزن نَسْغ النخيلْ!..
تتقلب بين العواصف.. برقاً..
من الشوق للزمن المستقيلْ!..

(2)

تنبِـضُ الأسـئلـةْ!..

في الشفاهِ التي..
أورقتْ بينها ..البسملةْ!

(3)

تهزأ المرحلةْ ..
بالعيونِ التي ..
لم تزلْ ..مسبلةْ!
تتدفأ بالزمهريرْ!
و(الجمارُ) مدى الأفْقِ.. شلالُ نورْ!
خضَبتْ لـيلَنا ..
بدمٍ .. أشعلَـهْ!!..
نثرتّهُ بذوراً.. وأوقدت الشوقَ.. بين الرمالْ!
زرعتْ جنةً مقبلِـةْ!!

(4)

(الغبـارُ) يـمدّ أعـاصيرَهُ..
خشيةَ الزلزلةْ!
يَعثر المزَقَ الـمُـشْعـلةْ!
أجلبتْ خيلُـهُ..
وابتنى حصنَـهُ..
وانثنى ساجداً:
«سيدي (النسرُ) ..ريحي غدتْ مثقلةْ..
وغباري تناقصَ ..
والريّ يـمتدّ ..
أرسلْ لنا سفناً من غبارْ!!..
واحشِ ذراتهِ.. بالشفارْ!
سيديَ (البحرُ) يا بركاتِ الشمالْ!..
أنا بعضُ صداكَ هنا..
وبقايا حذائكَ حين نزلتَ على..
جبهات الرمالْ!!
وأنا من بني..؟ من بني..؟..
عجميّ الهوى .. والفعالْ!!
لم أزلْ ممسكاً (خيمةً).. (حُرةً)..
نسجتْها يدُكْ!..
مُـسـدِلاً سـتـرَها..
مستعيناً ولو (باسمِ ربِ الغلامْ)!!
هاهو (الرملُ) يلفظُ أوتادَها!..

أبحرتْ نحو شاطئ آذانه .. صرخاتُ (أحَدْ)!
جهّز الموجَ (صوتاً) .. يسدّ الشواطئَ..
(سوطاً) .. يرشّ الدماءَ رماداً!..
على (جـمَـرات البلدْ)!

(5)

(نخَلاتٌ) تقاوِمُ.. كيدَ (الغبار).. وموجَ (البحارْ)..
(نخلات) تلقّى على صدرها..
حرّ تلك الشفارْ!..
وهيَ تسحقُ أضلاعَها .. فَتَضِجّ: »أحَـدْ«!!..
والـلآلـئُ خُـضْـرٌ ..
تسَاقطُ من جنَبات العذوق/المحارْ!..
تتحدّرُ أحلى الثمارْ..
وتعانقُها الأرضُ..منجبةً..
زمناً من (نخيلْ)!

(6)

صرخات (أحـدْ)..
عبرتِ من نسيج (خيام الغبار) التي اقتسمتْ..
جسداً/أمةً .. كان نعم الجسدْ!..
فرشتْ بالظلام سماءً لما..
كان أحلى بلدْ!..
ثم أصبح ألف بلدْ..
وبلدْ!!

(7)

صرخات (أحَـدْ)..
ديمةٌ أسبلتْ غيثَـها!..
تهطلُ القطراتُ.. وتكنسُ شيئاً فشيئاً..
ليـالـي (الغـبارْ)!
(حبةُالرمل) تبني كثيباً !..
وتحتضنُ الغيثَ..
تُنجبُ عشباً..
وتغذو به الصافناتِ الجيادْ!
تتآكلُ روحُ (العبيد).. وتفنى..
وتنبتُ روحُ (العبادْ)!!
يتعالى (النخيلُ) .. ويملأُ كلّ النواحي..

وتخضرّ من لونه جنباتُ البلادْ!!
تستفيقُ .. بداياتُ هذا النهارْ!
(حبةُ الرمل) .. تصعَدُ مَتْنَ الرياح إلى..
حـلـبـات الجـهـادْ!.

مراجعات أدبية

قراءة نقدية في البيان الأدبي (الأعداد من 67 إلى 70)

محمد حسن بريغش

يبدو أن شعر التفعيلة هو الغالب عـلى القصـائد التي تنشرفي المجلة وكذلك يبدو أن الشعر له الحيز الأكبر من بين الأنواع الأدبـيـة أيضاً ، وقد لا يكون للمجـلة يـد في ذلك ؛ لأنها تعتمد في ملفاتها الأدبية على ما يصلها أو على ما تختاره من النصوص التي تصلها، وعلى أي حــال فــإن نـجـاح الـنـص قد يغطي على غياب أنواع أخرى ، والعكس صحيح أيضاً، ويتمنى القارئ أن يستمتع بالـنـص الـجـيــد ، ويرى التنويع في النصوص الإبداعية أيضاً في وقت واحد.

في العدد (67) قصيدة شعرية على وزن التفـعـيـلـة بعـنـوان »برقية إلى بيغوفيتش« للشاعر د. محمد بن ظافر الشهري.

اختار الشاعر تصوير المأساة التي ينفذها العالم الـمـتحـضر في البوسنة على شكل برقية إلى رئيس جمهورية البوسنة والهرسك (علي عزت بيغوفـيـتـش) ، عـبـر فيها عن تضامنه مع شعب البوسنة، وبهذه الطريقة عرض صوراً من جرائم الصرب ضد الــمـسـلـمـيــن، ودور (الأمين العام!) في تغطية الجريمة ، ومهمة الأمم المتحدة ومجلس الأمن في تنفيذ المؤامرة وارتكاب المجازر تحت المظلة الدولية والرايات الإنسانية.

ويدعو من خلال برقيته رئيس البوسنة لإعلان الجهاد وترك ما عداه من سبل، ورفـــض مشاريع أوروبا المتآمرة ، واللجوء إلى الله عز وجل ليتحقق النصربإذن الله.

القـصيدة رغم ما تثيره من صور دامية مأساوية نابعة من القضية ذاتها لكنها ليس فيها ما يثير الانتباه ، أو يدعو إلى التمعن ، أو يستوقف القارئ ليتملى الصورة أو يتأمل في طريقة التعبير.

أحياناً تقترب المقاطع من النثر العادي: »"صدقني... لن تخسر شيئاً يذكر"« "»فسيساستهم لن تتغير« "، "»ستعيش إذا عشت حميداً ، وإذا مت تكون شهيداً"« ، "»هذا نصح أخيك المسلم ، لا يعرف زوراً ونفاقاً«"، وقليلاً ما تلمح بعض العبارات أو النقاط التي فيها لمح ، أو صورة تستوقف القارئ: "»لا

تدخل معبد بيزنطة ، لا تسأل أوثان الروم«" ، "»لا تُدخل كفك في الأرض السفلى«".
أما بقية القصيدة فقد خلت من الصور التي نتمناها ، والعبارات الموحية التي تناسب هذا النوع من الشعر.
وحـبـذا لو يتأمل الشاعر معنا قصيدته مرة أخرى وثالثة ، ثم يحاول أن يصل إلى ما يريد عبر الصور التي تدعو القارئ للتأمل ، أو الغوص ، أو الانبهار ، أو التعجب ، أو الشعور بأنه يكـتـشـــف جديداً، أو كأنه يقف لأول مرة أمام هذه الأحداث لطرافة التعبير ، أو القدرة على التصوير والاستثارة ، وإن الاستمرار في العطاء سبيل التجويد إن شاء الله.
في العدد (68) قصيدتان: الأولى على وزن التفعيلة (عبوس) ، والثانية على الوزن الخليلي (مدرستي الكبرى) ، القصيدة الأولى (عبوس) للشاعر عبدالوهاب عبد الله ، تتألف من ثلاثة مقاطع، يصور فيها مشاعره إزاء الأحداث الحاضرة التي تثير لدى المسلم مشاعر الحزن والكآبة (عبوس).
ويستخدم الصورة التي يمتزج فيها الصوت ، بالذوق ، بالصورة المادية والمعنوية ، مع غلالة من الغموض لكي يتركنا نشاركه مشاعره.
وكأن الشاعر يريد تسجيل عجبه واحتجاجه على الصمت المميت الذي يخيم على هذه الأمة رغم الأحداث الخطيرة التي تزرع أرضها بالمآسي ، وتريد أن تقتلع كل جذورها.
هذه القصيدة تومىء إلى موهبة تحمل في طياتها قدرة على العطاء ، وقدرة على أن يكون لهذا العطاء لونه المثمر ، وجذوره العميقة ، ولكن ذلك يحتاج إلى نوع من الوعي للتجربة التي يصورها الشاعر ، هذا الوعي الذي يجعله مالكاً لعناصرها ، قادراً على استخدام هذه العناصر بشكل يبعده عن الغرق في الغموض،أو الركون إليه حين لا تسعفه الكلمة الشاعرة، والصورة المبدعة والرمز الموحي ، أو حتى لا يقع في السرد الذي يقترب من النثر العادي.
القصيدة الثانية "»مدرستي الكبرى«" للشيخ عـائـــض القرني: قارئ القصيدة يشعر أنه مع خواطر ترد على ذهن المسلم في هذا العصر ، وهو يعاني ما يعاني من النكبات التي تنزل بالأمة ، والأخطار التي تحدق بها من كل جانب والخداع والتزوير الذين يلفان حياة هذه الأمة.
مع كل هذه الخواطر يقف المسلم عصياً على تيار الكفر ، لا يذوب ولا يتخاذل ، يتذكر مسيرة الحق من لدن آدم عليه السلام وإلى أن يرث الله الأرض ومن عليها ، والقصيدة جولة منظومة مع تلك الخواطر.
وفي العدد (69) ثلاثة نصوص إبداعية: اثنان من الشعر ، وواحد من القصة ، النص الأول قصيدة شعرية على وزن التفعيلة مختومة بأبيات خـلـيـلـيـة للشاعر تركي المالكي بعنوان "»نجمة الاعتصام«" ، وهي تتحدث عن المرحلة التي وصـلــت إليها قضية الأرض المقدسة »فلسطين«في الآونة الأخيرة.

والقصيدة مقسمة إلى ستة مقاطع ، تتوزع الأحداث والآثار الـمـتـرتبة عليها: ففي المقطع الأول أعلن عن الحدث ، ووصفه بتعبير قرآني موجز دقيق (عارض ممطر): لا يغني ولا يشبع ، ووصف ما يجري وصفاً لـمّـاحاً موحياً (رقص الحبل بالـراقـصـيـن) ، وفي المقطع الثاني وضح حقيقة الحدث وما ينطوي عليه ، وأشار إلى الزيف الذي قلب كل الحقائق التي لا يجهلها أحد ، والثوابت التي لا يتنازل عنها مسلم عاقل ، فالبحر في هذا السّلْم الموهوم أصبح عذباً وأضحى الغيث العذب ساماً ، وأصبح الاعتصام بشعار يهود هو المنجاة من الخطر ، فهل هناك أعجب من هذا؟!
وفي المقطع الثالث يشير إلى من تاجروا بالقضية الفلسطينية ، وباعوها باسـم الـشـعـارات ، وفي المقطع الرابع يعود للحدث ونتائجه ، ويصور لقطات من لقاء الثوار باليهود، ويـسـير إلى نتائج هذه الاتفاقات واللقاءات وما تبعها من مشاريع مستقبلية تؤكد ما سبق إليه مــن إشارة إلى قلب كل الحقائق ، ورفض كل الثوابت لهذه الأمة حتى صارت فلسفة الواقعية هي المنهج ، وهي السياسة ، وهي الذكاء. وفي المقطع الأخير يحدد طريق الخلاص الذي بيّنه الله لنا ، وهو الذي سار به أجدادنا حملة الرسالة الإسلامية ، فانتصروا وطهروا أرض المقدسات من أعداء الله.
لقد آثر الشاعر منذ البداية الكلمة الموحية ، والرمز الدال ، والصورة المعبرة ، لتحمل ما يريد، ولتنقل القارئ من صورة لأخرى ، ومن موقع لآخر ، عبر أزمان وقرون ، وألوان ، وطعوم ...
وكــان اختيار الشاعر لأكثر رموزه موفقاً ، بل بارعاً في بعضها ، لأنها تترك القارئ مـن خـلال رمـزه يغوص وراء الرمز في الماضي والحاضر يقلب صفحات التاريخ ، ويتنقل بين ربوع أوطاننا الإسلامية ، ويستعرض الأحداث ليدرك حقيقة ما يجري.
فالحــــــدث وهو الاتفاق باسم السلام ما هو إلا رقص ، وإذا كان عنوانه يتصل بالسلام فحقيقته كالعارض الممطر..
والحـــدث قلب للحقائق: فالبحر المالح أصبح في حلوقهم كما يعلنون عذباً ، بينما الغيث الذي ينبت به الله الزرع ، ويملأ الضرع ، ويحيي القلوب... قالوا عنه إنه سام ، وطريق النجاح طريق النجاة (سفينة نوح) هجرها الواقعيون واعتصموا ياللخسارة والعار بشعار يهود، النجمة التي لا تضام ...
هذه الرموز وغيـرها لها دلالات كثيرة ، وكلها دلالات تربط بين واقع اليهود وحقيقتهم كما صورها لنا رب العالمين، وبين ما نحن فيه من تزييف وخداع ، وقلب لهذه الحقائِق، وقتل للمثل والثوابت.
وعنوان القـصـيدة نوع من الرمز ، أو جزء من الرمز ، وهو عميق الدلالة لأنه يشير فيه إلى الاعتصام، فـكـيـف أصبـــح إرضـاء اليهود والانحياز لهم هو الاعتصام الذي يسعى إليه المضللون ، بدلاً من الإعتصام بحبل الله عز وجل والتمسك بشرعه؟

وكان استخدام الشاعر للرمز موفقاً مـــن الـتـاريــخ والتراث ، والواقع والأحداث (مسجد الضرار قبساً الغمد الذل سفينة نوح الغيث العارض الممطر واقعي الرياح...الخ) ، والقصيدة تشير إلى قدرة الشاعر على التصوير،وعلى اختيار الرمز الدال الذي يختصر النظم الطويل، ويركز الانتباه والإحساس على بؤرة الحدث أو مركز الصورة... ويفسح للقارئ الطريق لكي يغوص ويجول هنا وهناك لاستجلاء الصورة والوصول إلى عمق الرمز.
وكان موفقاً في اختيار أكثر الألفاظ التي أعانته على التصوير الموحي ، بل كان يضع بعض الألفاظ في سياق التعبير الشعري فتتحول من لفظة عادية إلى كلمة شاعرية مشعة »أنا أنت ، فصغ نزف قومي حبراً ، وخط به.. هيكلاً للسلام« ، »والجذور توهج في العمق ثابتة لا ترام« ، »ها تضلعت إني أرى رغم هذا الظلام في عروقي دم الفاتحين«... »يتدفق بالطهر ، كالورد كالجمر ، يسقي جذوع الكلم«... وكان موفقاً في الخاتمة التي اختار فيها بيتين مشهورين من شعر الجهاد ، وأتبعهما ببيتين من شعره.
لقد دلت القصيدة على موهبة شعرية اسـتـطـاعــت (توظيف) الرمز والمعطيات الثقافية ، والحقائق التاريخية ، والقيم الإسلامية ضمن سـيـاق شـعـري يعتمد على الرمز والتصوير والإيحاء ، بدون الوقوع في دهاليز الغموض ، أو الاختفاء وراء الصياغة المعقدة كما يفعل كثير من العابثين بالشعر والذوق.
ويبقى لنا أن نشير إلى أنه خرج في بعض المقاطع عن الطريـقـــة التي اختارها ففي المقطع الرابع كرر المعاني التي سبق تصويرها في المقاطع السابقة ، ثم استطرد في شرح هذه المعاني حتى أصبح طعم الصورة باهت الأثر، وفقد الرمز معناه الإيحائي، وعمقه المطلوب، وفوّت على الصورة المركزة هذه المزية التي تحملها.
وهناك بعض العبارات التي لم يوفق فيها الشاعر ، ولم تكن متسقة مع بقية العبارات التي خرجت من إطارها المألوف إلى لغة الشعر ، وإيحاءات الكلمة عن طريق الصياغة الموفقة (يا رياح فهـزي جذوع غيوث اليقين). تبقــى القصيدة تومئ إلى شاعرية سيكون لها توهجات طيبة ، وعطاءات كثيرة إن شاء الله.
النص الثاني: قصة بعنوان »للموت مليون طريقة« بقلم/ عبير عبد الله الطنطاوي ، والقصة تصور جانباً من مآسي الحرب على الناس ، بل تركز على أثر الحرب في الطفولة ، وربما اختارت هذه اللقطة من آثار الحرب ، لأن الأطفال يمثلون البـراءة ، والطهـر ، والفطـرة ، ولا يعرفون الكره أو الانتقـام ولا يدركون معنى السياسة والاقتصاد ، والصراعات على المادة...
أحداث القصة تصور امرأة أوصلتها الحـــرب إلـى العدم ، فلم تعد تملك شيئاً تقتات به لترضع طفلها ، أو لتأتي له بالحليب الذي يُعوضُه عن ثدي أمه الذي نضب ، وبعد بحث طويل وبمساعدة صديقة وفيّة لهذه الأم ، تظفر صديقـتهــا

بمرادها عند أحد الباعة الذي يطلب ثمناً غالياً ، فتتخلى عن أساورها الثمينة لتدفعها ثمـنـــــاً لحياة الطفل ، أو ثمناً لحليبه ، وعندما أسرعت لتبشر صديقتها الأم بحصولها على الحليب ، وجدت أن الطفل قد مات.
هذه شريحة أو لقطة من صور الحرب التي باتت تدمر كل شيء، فالقـنـبـلـة والـصـاروخ والطائرة لا تميز بين الإنسان والحيوان وبين الصغير والكبير...
لقد نجحت الكاتبة من خلال هذه الشريحة في الإشارة إلى آثار الحرب ومآسيها ومكابدة الأطفال بخاصة والناس بعامة من جرائها ، وكذلك نجحت في إثارة الشفقة والحزن على الطفولة التي راحت ضحية الحرب.
واختارت الكاتبة أسلوب السرد المباشر ، والعبارة الواضحة البسيطة في قصتها ، ولكنها كان بإمكانها أن تتخذ من الطفل الذي مات جوعاً نقطة ارتكاز لتثير كثيراً من الأمور التي تحملها الحروب ، ولتومئ إلى بعض سمات هذا العصر ، وجرائم الساسة وصنّاع الحروب.
وكم كان جيداً أن تضع كل هذا في مواجهة الفطرة البريئة لهذا الطفل المعذب ، ومع كل هذه التمنيات ، فالقصة خطوة على طريق طويل ، وإسهام في إثراء القصة المعاصرة.
النص الثالث: قصيدة شعرية على وزن التفعيلة بعنوان »المتحدة« للشاعر/ علي بن موسى ، وهي مقسمة إلى عشرة مقاطع ، تتحدث عن مأساة المسلمين في البوسنة والهرسك ، وعن الـجــرائـم الـتـي يقترفها الصرب ومن وراءهم من حملة الصليب ضد الأطفال والـنـسـاء والشيوخ، وضد الحياة ذاتها.
وركز الشاعر في تصويره لهذه الجريمة على(هيئة الأمم) التي رمز إليها في عنوان القصيدة، وعلى مجلس الأمن الذي أضحى ألعوبة ، ومظلة لتنفيذ المخططات العدوانية ضد المسلمين.
"»يا مجلس الأمن المصمم للصليب وللصليب«" ،"»يا مجلس الأعداء: تقتلنا وتقتلنا ، وتمنح خصمنا ليلاً من البارود يحرقنا وقوفاً«" ، "»هذي سراييفو تدك سلامها نار الصليب«".
ويستمر الشاعر فـي تـصـويــر ما عانته سراييفو وغيرها ، وما يلقاه الناس ولاسيما الأطفال الذين قطعوا أجسادهم وألقوهم مزقاً في الطريق ، كما صور ما فعله الصرب بالنساء والشيوخ وغيرهم ، ثم صور حالة الـمـسلمين المتخاذلين الذين »يمضغون عجزهم« ، أو يأكلون خبزهم المعجون باللذات ، ويبررون الجريمة بكلمات تدل على فراغ ويأس ومهانة.
والشاعر يستخدم الصورة الشعرية للوصول إلى المعاني التي يريدها:
"»الطفل غادر صبحه«"،"»وانكفأ الشروق«"، "»قلبي الطريدة ، والجموع تتابع الصياد، والصياد يقتنص الجموع!"«،"»عذراً سراييفو وباقي السرب،إنك منذ جاؤوا صامدة،ونحن هناك نأكل خبزنا المعجون باللذات«".

ولكن استخدامه للصور الشعرية لم يأخذ إلا حيزاً صغيراً ، ولم تكن هذه الصور إلا نادراً ذات إيحاءات بعيدة أو عميقة، بل كانت الصور أحياناً بسيطة أقرب إلى الطريقة المباشرة.
وإذا كان الشاعر قد وضع القارئ أمام مسؤوليته كمسلم حيال هذه المؤامرة الصليبية ، فإنه لم ينجح كما ينبغي في اختيار الألفاظ التي تسعفه لتحقيق ما يريد ، فهناك ألفاظ عادية ، وعبارات أقرب إلى النثرية البسيطة ، وتراكيب ضعيفة أجبر عليها الشاعر لإكمال المقطع »النار تأتي تحتوينا ونظـنها في البعد نائية لكنها في القلب تحرقنا« ، "»يا مجلس الأعداء تقتلنـا ، وتقتلنـا وتمنح خصمنا ليلاً من البارود يحرقنا وقوفاً«".
ولكن هناك عبارات وفق فيها الشاعر ، وكانت محققة لما ينبغي لها من دلالات »ونحن نغط في لغط القشور« ، »وأنت المستجير ولا نصير« »هذي سراييفو نواح لا يكف وألف ألف قذيفة زرعت هناك ولا مغيث«.
والقصيدة تبشر بعطاء شعري جاد مادامت تنم عن موهبة تتفتح وتشرئب إلى التجويد من خلال تصور واضح.
وفي العدد (70) قصيدتان شعريتان: الأولى بعنوان »النور وخيوط العنكبوت« للـشـاعــر علي محمد سفر ، وهي على وزن التفعيلة ، والثانية بعنوان »كيف يشكو إلى القيود الأسـيـــــر« للشاعر د/ صالح الزهراني.
أما القصيدة الأولى فهي صرخة أو رسالة يخاطب فيها الشاعر المخدوعين بمدنية الغرب ، وتقدمه المادي ، ممن وصل بهم الأمر إلى الانبهار والغرق في الوهم ، والتبعية العمياء باسم الحرية والتقدم ، مما أدى إلى وقوعهم في المعاصي واستسلامهم للمذلات.
يناديهم الشاعر لينظروا بأعينهم وبصائرهم،وليعوا الحقائق، ويعودوا إلى الحق، ويتخلصوا مما هم فيه من الإثم والوهم.
ويظل الشاعر يدق على بصيرة المسلم الغافل المخدوع ؛ ليصحو ويستفيق فيكرر النداء »تربت يداك« مستخدماً هذا التعبير الإسلامي المأثور.. ثم يمضي في عرض واقع الحضارة الغربية بطريقة الحكاية ، فيعرض قصة المرأة التي اسـتُـغـــلَ شبابها بما فيه من حيوية ونضارة وجمال ، فإذا ذوي الشباب لفظت كالجيفة وتركت تعاني القهر والعذاب والبؤس.
وفي هذه الحالة لا تجد من أحد شفقة ولا عوناً ولا رعـايـــــة ، بل تُلقى كالأقذار وتعيش عيشة الذل ، وإلى جانب هذا المنظر يعيش الكلب المدلل يأكـــل ما لذ وطاب ، وهنا ترى المرأة خلاصها في قتل الكلب حتى يُؤويها السجن من البرد والحـــر والتشرد ، ويوفر لها لقمة العيش.
وحين تفعل ذلك يكون حكم القضاء العادل هناك أن تخرج من السـجـن وتلقى في الشارع عقوبة لها على جريمتها النكراء ، وتفويتاً لحيلتها في التخلص من هذا العذاب ، فيضع الشاعر هذه الصورة أمام المخدوعين ، ويذكر بصور أخرى

كثيرة بإشـــــارات مختصرة ، ويذكر بهذا الواقع المخدوعين من الأمة لكي يعودوا إلى الصواب.
القصيدة تجوال هنا وهناك ، فيها تلوين وتنوع في الصور والأسلوب وطريقة التعبير، وفيها بساطة وعفوية في بعض الأحيان ، وإذا كان لهذا الأسلوب محاسنه فإنه كذلك أضعف من قدرة القصيدة على تحقيق الهدف الذي أراده الشاعر ، وأضعف الأثر الذي يمكن أن يبقى بعد القصيدة.
وكان بمقدور الشاعر أن يستغل على سبيل المثال قصة المرأة لكي تكون تنويراً للحقائق التي يريدها ، ثم يتركها بنفسها لكي تنطق بما يريد.
القصيدة في شكلها الحالي ، والتجوال بين مكان وآخر من خلالها لم يترك فرصة للقـارئ لكي يتمعن في صورة أو معنى ، أو ليربـط بين هذا وذاك أو ليكشف بنفسه بعض الحقائق من الإشارات أو المقارنة أو الرموز الموحية.
لقد أراد الشاعر أن يستعرض بسرعة صوراً كثيرة ، وأن ينوب عن القارئ أيضاً في شرح ما يريد ، وهذا يضعف تأثير الشعر ، ويذهب بكثير من جماله.
وكذلك كنت أتمنى أن يكتفي الشاعر بنصف هذا القدر من الطول مع التركيز في التصوير والتعبير والتجويد في اختيار أدواته ، ولو فعل ذلك لترك في أحاسيسنا ووعينا أثراً أعمق، ولحقق قدراً أكبر من الجودة والإمتاع ، وليس هذا صعباً على الشاعر مادامت لديه هذه القدرة على التعبير بغزارة وعفوية.
القصيدة الثانية »كيف يشكو إلى القيود الأسير« للشاعر د/ صـالـح الزهراني تذكرنا بعدد من الشعراء المعاصرين الذين تميزوا بقوة النبرة وحرارة العاطفة وتـلـويـن الخـطــاب، وامتزاج الصورة بالأسلوب المباشر ، أمثال الدكتور النحوي ، والدكتور عبدالرحمن بارود،والأستاذ شريف قاسم وغيرهم يخاطب الشاعر في قصيدته ما يسمى بالضمير »ضمير الأحرار،ويتساءل بسخرية ومرارة عن هذا الضمير »أين الضمير؟«.

يا ضمير الأحرار.. أيـــن الضمير وبــلادي مـجــازر وقـبـــور!!

ويعدد الفجائع والمجازر والمظالم التي تملأ ديار المسلمين بفعل أصحاب هذا الضمير.
هذه الجرائم تنفذ تحت علم الأمم المتحدة ومجلس الأمن ، المحكوم من هـــؤلاء الظالمين الذين نصبوا أنفسهم قضاة ، وأتوا من بينهم بشهود الزور وحكموا على الضحية التي هي من المسلمين.
ثم ينقل الشاعر خطابه للمسلمين لينبههم إلى ما هم فيه ، ويدعوهم إلى شد العزائم وترك الخلافات ، وشحذ الهمم ، والتبصر بالواقع ليعودوا إلى النهوض من جديد. وأخيراً ، ومع هذا الواقع المأساوي ، يبشر الشاعر هذه الأمة بالفجر القادم ، لأنه وعد الله الذي لا يتخلف ، والفجر لا يحول دونه سور أو أي حائل.
والقصيدة رغم ما فيها من نبرة خطابية قوية ، فقد نجحت في تصوير واقع المسلمين ، بل واقع العصر الذي اتسم بتكالب الغرب ، وتجمعه ضد الإسلام

والمسلمين ، وهي لا تخلو من صور بين حين وآخر ، وبعض الرموز القليلة ، مع التلوين في الأسلوب ، مما يعطيها حيوية وجمالاً .
وكذلك لا تخلو القصيدة من الأبيات الجميلة التي يحلو للقارئ ترددها لما فيها من طرافة المعنى ، أو جمال التعبير ، أو قوة الدلالة ، مثل:
»ما خبا في دمي شـعاع الـمـعـالـي فـي وريـدي لا ينضـب الـتـكـبير«
وكذلك اعتمد الشاعر على التكرار غير الممل أو المخل ، لتثبيت الصورة التي يريدها ، أو الفكرة التي يريد إيضاحها: »يا ضمير الأحرار« ، »يا مجلس الأمن«، »حدثوني«، »نحن مليار«..
والقصيدة تشير إلى قدرة الشاعر على التعبير دون تلكؤ أو افتعال وامتلاكه لعناصر القصيدة الناجحــة ، ولعله في التقليل من النبرة الخطابية أحياناً واستغلال قدرتها على التصوير، يعطي شـعـره عمقاً وجمالاً ، ويقلل من ترف التكرار الذي لا ضرورة له ، أو الطول الذي يحكمه السرد المباشر.

نصـوص قصصـية

حـدث في السـوق..!

د. محمـد الحضـيف

المكان: سـوق مـزدحم

أنا أشك في سلوكه... دعنا نوقفه.
انتظر قليلاً... فقد نكون مخطئين ، ربما له غرض ، أو ينتظرأحداً.
مخطئين..؟! بصراحة أنا ظني لا يخيب في هذا الصنف من الناس.. حليق..
والثوب طويل.. والدخان.. والنظارات الشمسية..
هذه ليست أدلة إدانة..
لكنها مؤشرات..
الهدوء أفضل..
يذهبان باتجاهه ، ويقتربان منه..
السلام عليكم.
وعليكم السلام..
.يتأملهما الشاب وهما يتجاوزانه مبتعدين ، ثم يخرج جهاز النداء الآلي ويتصنع النظر إليه حينما التفت إليه أحدهما.
تُسلّم عليه..؟!
وما المانع.. أليس هذا هو الهدي النبوي؟
إنك بهذا التصرف تشعره بالطمأنينة.
أليس هذا هو المطلوب؟
أنا لا أفهم لماذا تتصرف بهذه الطريقة...
....

انظر... لقد رمى بورقة على مجموعة من النساء... دعنا نمسك به قبل أن يختفي.
.يختفي الشاب في الزحام ، التقط أحدهما الورقة ، كانت تحمل رقم هاتف.
ألم أقل لك إن تصرفه مريب... دعنا نلحق به.
لا بأس... هات الورقة.
يسرعان في أثره ، وبعد مدة يجدانه في مكان آخر من السوق ، رآهما فارتبك وأراد أن يتفاداهما ، فلحق به أحدهما ، وأمسك به.
ما اسمك... وماذا تفعل هنا؟
من أنت؟
هذا ليس من شأنك... أخبرني ماذا تريد...
بل من شأني.
أنا من رجال الهيئة(1).
مطوّع يعني..؟
مطوّع أو غير مطوّع.. يا فاضي.. يا قليل الأدب.
ويتجمهر الناس ويرتفع الجدال والشجار بين الاثنين ، وتتعالى أصوات الناس بين مؤيد للشاب: (حرام عليكم.. اتركوا الناس وشأنهم) وبين حامل عليه (جزاكم الله خير.. يا جماعة نظفوا البلد من ها العينات التعبانة..).
ثم يصل الشخص الثاني، ويتدخل ، ويأخذ عقال الشاب الذي كان قد وقع على الأرض، ويضعه على رأسه ، ويمسك بيده بهدوء...
السلام عليكم يا أخي الكريم.
... وعليكم السلام... نعم...؟
أبــداً... طـاحــت هذه الورقة منك في الممر الآخر، ويبدو أنها تحمل معلومات تـهـمــك، فحرصت أن ألحقك وأعطيك إياها...
....
يطالـع الشاب في الشخص الذي أمامــه مستغرباً، وينقل نظراته بينه وبين الشخص الآخر اشتـبك معه ، غير مصدق ما يجــري. يظل الشخص ممسكا بيد الشاب بهدوء ، وهو يسير به بعيداً عن الناس، ويـتـهـامـســان، حـتـى يـصـل إلى سيارة كانت واقفة يفتحها الشاب ويركبها، ويدور بينهما حوار قصير قبل أن تتحرك السيارة وينصرف الشاب وعلى وجهه ابتسامه.
***

المكان: مجلس مزدحم بعشرات الضيوف:

الأحاديث الجانبية تنبعث من كل مكان ، يتكلم أحد الحضور طالباً الإنصات إلى شخص يريد أن يقول شيئاً.
يا إخوان أريد أن أحدثكم عن حادثة شاهدتها بنفـسـي... أو لأكون صادقاً معكم شاهدها إنسان عزيز أثق به جداً!.
الحضور يرددون بصوت واحد:

تفضل.. تفضل..
قبل أسبوعين في أسواق (....) وأمام الناس كلهم هجم اثنان من رجال الهيئات ، هؤلاء الـ (....)على أحد الأشخاص وكان برفقته امرأة وطالبوه أن يـثـبـت صلـته بها ، ولما أخبرهم أنها أخته أوسعوه ضرباً حتى أغمي عليه واضطرت المرأة التي كانت مـعــه أن تسـتـغـيـث بالناس وهي تصرخ وتقول... لقد قتلوا أخي.
وماذا حدث بعد ذلك؟!
لا أدري لأن الذي روى لي القصة قال إنه لم يتحمل أن يرى بقية المشهد خصوصاً وأن أحد الشخصين أمطر المرأة بسيل من الشتائم ، واتهمها في عرضها.
شخص آخر من الحضور يتدخل ويقول:
إذا كـانـت هـي الـحـادثــة الـتـي وقـعـــت أمام (أزياء الشرق) في أسواق (....) فإن أولئك (الوحوش) طلبوا من الشاب أن يثبت لهم أن المرأة التي بصحبته هي زوجته.
يا أخي هذا شيء بشع.. لماذا لا يوقف هؤلاء الـ (....) »عند حدهم؟!
هل تصدق أنهم طالبوه بصك الزواج؟!..
إذن بهذه الطريقة علينا أن نحمل صكوك الـزواج ودفتر العائـلــة وشـهـــادة مـــن العمدة والإمارة، لنثبت أن من يسير معنا هم أبناؤنا وزوجاتنا وأخواتنا.
يا أخي لقد كان مشهداً لا يُنسى حينما وضع أحدهم قدمه على وجه الشاب وقال له: أين لحيتك يا فاسق.. أو يا كافر على ما أظن.
.... وفجأة ينطلق صوت من بين الحضور الذين كان بعضهم يتسابق في إيراد الـقـصـــص والحوادث التي مرت به أو بصديق له أو بإحدى قريباته:
يا إخوان أين حدث كل هذا الذي تقولون..؟! في فيلم سينمائى أو في خيالكم؟!.. أنا الذي كنت في ذلك السوق... وأنا الذي حدث لي ذلك الموقف مع رجال الهيئة... يا إخوان هذا الذي تقولونه غير صحيح... ولا يجوز... لم تسل دماء ، ولم تصرخ امرأة ، بل لم يكن في الموضوع كله نساء أو صكوك زواج، الأمــــر كـلـه لا يحـتـمــل كل هذه الرواية بفصولها المأساوية..!! سوء فهم حدث وتمت تسوية الأمر بطريقة ودية... هل عرفتم القصة الآن..؟
ما هي القصة إذن..؟!
....

الهوامش:

(1)هيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

المسـلـمون والعالم

حين يستنطق الشهود!

»رسالة إلى الأصدقاء الجلادين«

د. عبد الله عمر سلطان

أحياناً لا يملك الراصد للحدث بـداً مــن أن يستضيف مراقباً محايداً ليدلي برأيه في قضية شائكة ، عاطفية ، معقدة ، ليبتعد عن الوقوع في فخ التصنيف أو إطلاق تهم التحيز عليه. لقد كتبت في هذه الزاوية قبل أكثر من ثـلاثــة أشهر مقالاً بعنوان »الكلاشنكوف لن يسكت الأذان« ، استعرضت فيه بعض زوايا المشهد الجـزائـــري اللاهث ، الذي عالج وضعاً شاذاً تدّعي الأقلية خلال استعراضه أن لديها حقاً مقدساً،وصكاً سرمدياً يتيح لها مصادرة رغبة شعبها وسرقة خياره ، على الرغم من أن هذا السلوك يتنافى مع أبسط ما تقتضيه المبادئ الديمقراطية التي تدّعي تيارات العلمنة والفرانكفونية أنـهـــا تدافع عنها وتنتمي ، إليها وتقاتل من أجل استمرارها على أرض الجزائر..
وتصاعــــد الـحـــدث الجزائري منذ ذلك الوقت ليسجل مشاهد عديدة تقتضي أن نتوقف عندها، لنعالج بعض النقاط المهمة ، ولنصل إلى تأطير تسلسل الأحــداث الراهنة للخروج بتصور عام وخطـــوط عريضة تفسر هذا الحدث ، وهذا بالضبط ما عنيته في البداية حين أشرت إلى اختيار المراقب المحايد الذي يستند هنا إلى تجربة تاريخية ، وأعـنـي به »جاك فيرجيس« الذي يـعـــد مـــــن أبرز رجال القانون في فرنسا ، وهو شخصية لها حضورهـا وتجربتها الممتدة إلى أيام حـــــرب التحرير الجزائرية حين وقف مدافعاً عن حق الشعب الجزائري في استقلاله ونيل كرامته بعيداً عن قيود العبودية المتمثلةفي الاستعمار الفرنسي، وفـي ذلك الوقت رُمي هذا المحامي بأبشع التهم ، وحاول الفرنسيون المتعصبون اغتياله بتهمة »العمالة« و »الخيانة العظمى« ، وبعد أن نالت الجزائر استقلالها حصل »فيرجيس« على الجنـسـيـة الجـزائرية، وتولى مناصب مهمة في وزارة الخارجية الجزائرية ، وعمل مديراً لمجلة »الثورة الإفريقية، ثم غادر الجزائر إلى فرنسا حيث كانت له مواقف قوية ضد القوى الصهيونية الفرنـسـيـة التـي ظلت تتهـمـه بأنه حليف لجبهة التحرير الجزائرية والعرب عموماً، وبعد الانتخابات »الموءودة« وتداعياتهــا كتب المحامي الفرنسي كتاباً بعنوان »رسالة إلى أصدقــائي الجزائريين الذين أصبحوا جلادين« كشف فيه بجلاء عن حجم المأساة وعمق الهاوية التي سقطت فيها البلاد بقيادة مافيا السلطة ، ويستعرض الواقع القائم بقوله: »إن القــوانـيـــن التي فصلها المشرع الجزائري تشبه قوانين حكومة »فيشي« الموالية للنازية التي حكمت فرنسا خلال فترة الاحتلال ، بل إن بعض مواد القانون منقولة نصاً وروحاً من هذا القانون السيء السمعة الذي عرفتُ من خلاله حجم الخلل الذي انتاب النظام الحاكم... أنا لم أقرر من البداية أن أتخذ موقفا معيناً ضد السلطة في الجزائر ، لكن ما اكتشفته أثناء

أداء عملي هو الذي دفعني إلـى ذلك. إن المسؤولين هناك يمارسون على غيرهم ما مارسته عليهم فرنسا في السابق يلجأون إلى كل الوسائل لحماية مصالحهم، وأنا أقول إن الوسائل نفسها تؤدي إلى النتيجة نفسـهـا ، فـفـرنسا اضطهدت »جبهة التحرير« التي كانت تمثل أغلبية الشعب الجزائري،و »جبهة الإنقاذ« فازت في معركة انتخابية بأغلبية الأصوات وهي تُضطهد اليوم ، والنتيجة سـتكــون واحدة. إن الأغلبية قد لا تساند أطــروحــات »الإنقاذ« لكنها تتعاطف مع أعضائها وتكـــره رموز السلطة ، وسفير الجزائر في فرنسا (سيد أحمد غزالي) قال بنفسه إن 90 % من الشعب يكرهون السلطة.
خذ مثالاً آخر: القانون الاستثنائي الجزائري الذي يمنع نشر اسم رئيس المحكمة ويعاقب بالسجن لمدة خمس سنوات من يخالف هذا المنع،وهذه بدعة قانونية انفردت بها الجزائر. لقد قرأت في الصحافة الجزائرية أثناء محاكمة المتهمين بتفجير مطار الجزائر أن أحدهم قال لرئيس المحكمة إنه تم خصيه أثناء التعذيب ، وقد رفض الرئيس معاينة المتهم طبياً لتأكيد أقواله أو نفيها، أليس هذا إقراراً بحقيقة التعذيب؟!«
وحين يُسأل الشاهد الفــرنسي عــن »عنف الإسلاميين« وهو قميص عثمان الذي يرفع لتبرير بطش السلطة يقول: »عنف السلطة هو أكثر شدة، لقد تم قصف إحدى القرى بغاز النابالم، هل تعرفون عنفاً أشد من هذا؟! ثم إن عنف »جبهة الانقاذ« هو ردّ فعل لما تعرضت له ، لقد فازت في الانتخابات ، ثم رُمي بالذين فازوا في السجن وفي قاعات التعذيب ، كيف يمكن بعد ذلك التحدث عن الديمقراطية؟ ما هي شرعية السلطة اليوم؟ ليس في الجزائر رئيس منتخب ولا برلمان منتخب ولا مجالس جبهوية منتخبة ولا بلديات منتخبة ، من هنا بدأ العنف وما حدث بعد ذلك هو نتيجة له، لـقـد كـانـت فرنسا في السابق ترفض التفاوض مع »جبهة التحرير« متعللة بالعنف ، وكنت أقول ما أقوله اليوم ، وأنا أعرف الكثيرين من المسؤولين في الجزائر ، إنهم يدافعون عن نمط حـيـاة غـربـي وهـــذا حق مشروع! لكنهم يعارضون بذلك إرادة الأغلبية ، إنهم مثل فرنسيي الجزائر الذين كانوا يرفضون التخلي عن امتيازاتهم«.
ثم يُجْلَبُ الشاهد مرة أخرى ليقال له: إن شروط »الإنقاذ« تعجيزية للبدء في الحوار ، لاسيما شروط الناطق باسمها »رابح كبير«، فيقول: »في كل حركة هناك وجهات نظر مختلفة، وهناك متشددون ومعتدلون، هذا الأمر طبيعي جداً ، ولا يبدو لي أن »رابح كبير« متشدد بل تبدو لي شروطه منطقية ، إذ كيف يمكن التفاوض إذا لم يُعترف مجدداً بـ »الإنقاذ«؟«.
ويشـيـر إلى طلب قادة »الإنقاذ« محاكمة المسؤولين عن انجراف الجزائر إلى دوامة العنف ، خصوصاً بعض العسكرين المتشددين بقوله: »وكيف يمكن التفاوض إذا استمر الجلادون في عملـهــم؟ لابد من إطلاق سراح القياديين الموقوفين ، وإيقاف الحملات ضد الإسلاميين ، وأنا أتحدث هنا بصفتي مراقباً

ولا أنطق باسم »الإنقاذ« ، أقول: إنه من الصعب أن يتعايش الجلاد والضحية بعد كل ما حدث«.
وينهي الشاهد الفرنـسـي شهادته بقوله: »أظن أنه لا وجود لحل آخر سوى الحوار ، إنه وضع يشبه الجزائر عــــام 1962 م آنذاك كانت فرنسا قد نجحت عسكرياً في التصدي لجبهــة التحرير ، لكنها لم تجد طريقة لحكم الجزائر. إن الانتصار العسكري لا يساوي شـيـئـاً أمام العجز السياسي ، وفي الجزائر اليوم لم تنجح السلطة في القضاء عسكرياً على »الإنقاذ« ، ولم تنجح في تسيير الأمور حتى رجال السلطة يعترفون بهذا ، من جهة أخرى لا يمكن مواصلة إنكار وجود »الإنقاذ« ، وكل ما يحدث يؤكد أنها قوة فاعلة ، وأن الأفضل التحــاور مع قياداتها حتى لا يتواصل العنف والعنف المضاد بين قاعدتها والسلطة ، إن الحــوار ليس فقط ضرورياً بـل هــو المخرج الوحيد من الأزمة... أنا لا أعلم ماذا يحدث داخل جبهة الإنقاذ ، لكن الواضح أن هناك مواقف متباينة ، أعتقد أن قادة كل حركة هم دوماً أكثر اعتدالاً من أعضائها القاعديين ، لذلك أقول إنه من الحكمة أن يتم التفاوض مع القيادة لتجنب عنف القاعدة، والقيادة وحدها قادرة على منع هذا العنف،هذه القاعدة أثبتتها كل التجارب التاريخية ، وأظن أن فرنسا تتجه اليوم نحو إدراكها، فـقـد أدانت مؤخراً كل أشكال العنف، أي أنها عرّضَت بالسلطة أيضاً، وأظن أن كتابي »رسالة مفتوحة إلى أصدقائي الجزائريين الذين أصبحوا جلادين« أسهم في تليين الموقف الفرنسي.
هذا السطر الأخير من الشهادة ينقلنا للحديث عن الموقــف الغربي من الحدث ؛ لأنه ذو علاقة مباشرة بالموضوع وبتسلسل الأحداث.

فرنسا على الخط!

»إذا أردت أن تعرف موقف السلطة الحاكمة فعليك أن تعرف موقف باريس قَبْلاً« ، هذا ما يقوله »كريستوفر ديكي« المحلل الأمريكي في معرض استعراضــــه لمواقف حكومة »رضا مالك« الذي كاد أن يحصر العالم الخارجي وعلاقته بالجزائر في فرنســا والذي قام بزيارة سرية لها طارحاً ارتباطه الفكري/السياسي ، وهو النهج نفسه الذي تتـبـناه الأحزاب العلمانية والشعوبية التي لا ترى من العالم الخارجي سوى فرنسا ولا تستلهم نموذجاً سواها ، مما دفع بعضهم للتساؤل: متى تتحرر الجزائر من فرنسا...؟!
وهذا السؤال ملح خصوصاً أن التحول نحو »الحوار« وتشكيل ندوة هزيلة له كان متزامناً مع تـوجـــــه فرنسي مماثل ، وهو يتلو تشدداً فرنسياً تجاه الإسلاميين الجزائريين تمثل في مسرحية 7 نوفمبر 1993 م حين قُبض على الناشطين الإسلاميين المقيمين في فرنسا بحجة دعم الجماعات المسلحة ، لاسيما بعد ثبوت هذه التهمة على »موسى كراوشي« الذي ضُبط لديه نـسـخ مــن الرسائل المرسلة من الجزائر تتحدث عن مسؤولية منفذيها عن اختطاف الفرنسيين ، ولكن زمناً قصيراً كشف أن هذه الوثائق »الخطيرة« و »الأدلة

الدامغة« هي من دس جهاز الاستخبارات الفرنسي وتلفيقه ، مما يعطي دليلاً آخر على أن التورط الفرنسي في أحداث الجزائر لا يصب حتماً في مصلحة »حزب فرنسا« أو المنادين بدوام تسلطه العسكري.

إن الدور الفرنسي في أحداث الجزائر جعل من باريس وكأنها مصدر القرار لتوجه القوى الحاكمة التي ترتبط كلها في النهاية بخيوط فرنسية تجعل من مصيرها متعلقاً بهذه الخيوط والحبال السرية، فالصراع الذي دار داخل مؤسسة العسكر كان بين جناحين »جناح التشدد« الذي يمثله ضباط الجيش الجزائري الذين خدموا في الجيش الفرنسي أولاً ثم انتقلوا بعد ذلك إلى الجيش الجـــزائــري والفـــريق الثاني هو الذي نشأ بين أحضان جيش التحرير الجزائري ، والفريق الأول هو الذي قـــاد الانـقــلاب الأول عام 1992 م بعد فوز جبهة »الإنقاذ« بالانتخابات الحرة وأتى بمحمد بوضياف،ثم هو الذي استمر في تصعيد الموقف من خلال تبنيه للحل العسكري والقبضة الأمنية لحل مشكلة حضارية وسياسية في الأساس ، ثم قام هذا التيار باغتيال »بوضياف« بعد أن حاول أن يفلت من قبضة الجنرالات، ومارس هذا الفريق سياسة العلمنة الشاملة ومحاصرة اللغة الـعـربـية ، وإحلال غلاة العلمانيين ، والفرانكفونيين ، وبقايا الشيوعيين ، وشعوبيي البربر في الـــواجهة ، لاسيما بعد وصول »رضا مالك« إلى الواجهة السياسية رئيساً للوزراء.

ومـع بـروز صـعـوبــة تنفيذ سياسة »الاستئصال« التي كان ينادي بها المتشددون ، برز تيار المصالحة من العـسـكــر بعد أن انكشف ضعف حجج التيار المتشدد وسقوط مشروعه ، لقد تزامن هذا مع تراجع الدعــم الفرنسي لبقية القوى المرتبطة به كأحزاب اليسار والبربر ، وإن كان الفرنسيون لا يستبـعـدون إثارة المشروع البربري الانفصالي ، الذي سيكون بمثابة العقبة التي توضع في مسار المشروع الإسلامي/العربي في الجزائر. لقد أصبح حزب التجمع من أجل الثقافة والديموقراطية البربري وحزب التحدي الشيوعـــي الإفراز المباشر للتيار الفرنسي أضحوكة حتى للحزب الاشتراكي وجبهة التحرير ، خصوصاً وأن هذه الأحزاب الهامشية قد مارست دوراً متورماً خلال تسلط »المافيا العـسـكـريــــة« التي داست على كل المقدسات والثوابت التي يجمع عليها الشعب الجزائري منطلقة من تصور ساذج مفاده أن »علمنة وفرنسة« هذا الشعب واجب مقدس حتى لو كان من خلال الـتـحـالف المكشوف مع نظام يفقد كل مقومات الشرعية وأبسط مبادئ العدالة.

لقد خسرت فرنسا مرتين،حين تحدت إرادة الشعب الذي ثأر لكرامته ودفع ثمناً لاستقلاله مليون شهيد، ثـم خـســرت حينما مارست التدخل المباشر (الاستعماري) من خلال واجهة كالحة تجمع بين إجرام المافيا، وفئوية النخبة المثقفة ، واستفزاز الشعوبية واستثمارها..!

إن الموقف الفرنسي هو مثال صارخ للموقف الغربي عموماً من أحداث الجزائر الذي سيترك آثــاراً مهمة مستقبلاً ، فأمريكا كما يقول »ماركوس

مازلي« مارست دوراً مشابهاً »حين اكتفت بـبـيـانات وزارة الخارجية الاحتفـــالية التي تحض على الحوار ، وتبشر بحقوق الإنسان والديموقراطية ، بينما دعمت سراً الحكم العسكري لأنه أخف ضرراً من حكم إسلامي...! وفي المقابل كانت الشركات الأمريكية الكبرى تجني أرباحاً هائلة مستغلة حاجة الحكم إلى شريك أجنبي حيث تعمل سبع شركات نفط أمريكية لاكتشاف الغاز ، كما أن شركة »بكتل« تنفذ مـشــروعاً بقيمة 475 مليون دولار...« ، وهـــو موقف مشابه للموقف البريطاني الذي اكتفى بتحديد المصطلحات ، والتبشير البياني بالـديموقــراطية وحقوق الإنسان ، وفرز الأصولي من المتنور الذي تشير إليه مجلة »الإيكونمست« البريطانية بقولها: »الجيش يبقى آخر حصون حماية العلمانية في البلاد والقائم على نشر قيمها ، ولذا فإن صغار الضباط يمكن وصفهم بأنهم متعاطفون مع الأصولية لأنهم درسوا المناهج باللغة العربية ، وهذا بالضبط ما يُسرُ بـه كبار الضباط الجزائريين لمحدثيهم حينما يقولون بأنهم لا يستطيعون أن يثقوا بالضابط من مرتبة نقيب فأدنى...!« ، وهكذا فالناطق بالعربية أو المعتقد بعروبة الجزائر هو أصولي متطرف حسب التصنيف البريطاني.

هذا الفزع وتلك البلبلة تكشف حجم الغطرسة الغربية ومــاذا تعنيه بالأصولية كما تقول المستشرقة الإيطالية »إيزبيلا كاميرا دافيلتو «: »إن قضية الأصــولـيـــــة الإسلامية واجهت تضخيماً مبالغاً فيه من قبل أجهزة الإعلام الغربي فالغرب كان ومايزال بحاجة إلى »اختراع« عدو حتى يضمن لنفسه خطاً دفاعياً ويظل مترفعاً ومتعـاليـاً على ما تبقى من العالم لسنين طويلة ، أو حـتى لعقود كان هذا العدو متمثلاً في الشيوعية التي يتبناها المعسكر الشرقي ، وعندما انهارت الشيوعية برز لدى الغرب التساؤل التالي: من سيكون عدونا المقبل؟ وإذا به يسحب من خزانة تراكم عليها غبار الزمن صورة العدو التاريخـي الـقـديـم المتمثل في العالم الإسلامي.

لكن الغرب كان أيضاً بحاجة إلى وسيلة لإقناع مواطنيه بمصداقية هذا الاكتشاف »الجديد القديم« لذا كان طبيعياً أن يحاول ترسيخ ملامح »البعبع« من خلال تقديم الأصولية الإسلامية في صورة العدو العنيف ، واستغل لتقديم هذه الصورة كل ما يمكن أن يمت إلـى الـعـالـم الإسلامي بصلة.

فنحن وعلى الرغم من وجود مظاهر أصولية كثيرة في الديانة المسيحية أو الديانات الأخرى فـي الغرب ، لا نسمع حديثاً عن »عنف هذه المظاهر الأصولية« ، في حين نرى هذا المنطق يطبق على العالم العربي.

اطـلـعـت أخيراً على الترجمة الإيطالية لأحد كتب المستشرق الانكليزي العجوز »بيرنارد لويس« وهــــو ينتمي إلى المدرسة القديمة القريبة من المنطق الاستعماري ، نشر الكتاب في طبعته الإيطالـيـة تحت عنوان »القتلة ، الإرهابيون الأوائل في التاريخ«! وعندما تنشر دار نشر مشهورة وكبيرة في إيطاليا كتاباً بهذا العنوان ، فمن الواضح أن لديها هدفاً في تزييف الحقائق،

وليس هـــذا إلا مثالاً مصغراً عمّا يكمن في الغرب من استعداد لرؤية الجانب السلبي فقط من العالم العربي.
بطـبـيـعة الحال لا أود أن يفـهم من كلامي أنني لا أرى مظاهر أصولية ذات طابع عنيف وإرهــابي أحـيـانـاً في البلدان العربية ، ولو كان الأمر كذلك لكنت أنا أيضاً أسيرة الخطأ نفسه لكوني لا أرى سوى جانب واحد من الحقيقة العربية لكني أعتقـد أن هنـاك حاجـة إلـى التـوازن في قراءة ما يحدث في العالم العربي ثم إن هناك »وحوش« في بقاع العالم أجمع ونحن أيضاً لديناً »وحوشنا«.
أرى أن الظاهرة الأصولية العنيفة هي وليدة للمصاعب التي تجتازها بعض البلاد العربية، وبالـــذات على الصعيد الاقتصادي ؛ لكن حتى هذه المصاعب الاقتصـادية ليسـت وليدة الـيـــوم ، وإن كان للزعامات الحـالية دور في تعميقها فهي وليدة السياسة الاستعمارية ، والإمبريالية الثقافية ، والاستعمار الجديد... لذا ففي اعتقادي أن مسؤولية الغرب في هذا الإطار كبيرة وثقيلة.
وعلى أي حال فإن أخطاء الزعامات العربية ، وغياب الديموقراطية والحرية في العديد من البلدان العربية ، من العوامل التي تساهم في شق الطريق أمام صعود تيارات عنيفة تسـتفيد من غضب الناس، وتستغل هذا الغضب وأرى أنه في ظل مناخ من الحرية والإعلام الحر ، فإن غالبية الناس لن تصغي إلى شعارات الحركات الأصولية ، ولن تقتنع بمنطقها.
ومع هذا فإن الغـــرب لا يحاول التوصل إلى هذه القراءة الموضوعية للوضع العربي ، أو بالأحرى لا يرغب في تقديم صورة حقيقية.. يكفي أن ترى نشرات الأخبار ، فهي عندما تتحدث عن الظاهرة الأصولية ومظاهرها العنيفة ، تذهب لتصوير الناس وهم يؤدون شعائر دينية أو يصلون في المساجد ثم تربط بين هذه الصور والحديث عن »العنف الإسلامي«!
ترى لماذا لم تفكر محطات التلفزيون في الحديث عن الظاهرة الأصولية في الديانات الأخرى وهي موجودة بالفعل من خلال الربط بينها وبين مشهد آلاف المؤمنين الذين يؤمون ساحة القديس بطرس! فـي الفاتيكان كل يوم أحد للاستماع إلى قداس الأحد الذي يحييه البابا »يوحنا بولس الثاني«،أو أولئك الذين يقفون أمام حائط المبكى »البُراق« في القدس؟!ثم من أجاز لهؤلاء الصحفيين أن يطلقوا على بشر عاديين يؤدون شعائرهم الدينية صفة »الأصولية«؟!..«
ما فات هذه المستشرقة أن الجزائر ومحنتها كشفت عن أن من يتحدث اللغة العـربـيــة أو يطالب برفع الأذان أو يعتقد بعروبة الجزائر هو أصولي بالتعريف الغربي الذي جر الجزائر إلى هذا الواقع المؤلم!

بين الكوليرا.. والطاعون:

الصراع المحتدم في الجزائر يمكن أن يلخص بأنه صراع عقدي حضاري لا يمكن للمدفع أو الـدبـابة أو الطائرة الحربية أن تحله ، لكن المطلوب هو حوار

حقيقي بين قيادات تُحمّل مسؤولية العنف وهي لا تملك حق دخول دورة المياه بحريتها! لقد اكتشف النظام الحاكم بأجنحته الحاجة الماسة للحوار الحقيقي الذي ينصف المطلوبين ويرجع الحقوق لأصحابها ويحد مــن وهج الصراع الذي زلزل البيت الجزائري من الداخل ؛ لكن السؤال هو: هل سيقدم العسكر على مصالحة حقيقية أم يكتفون بحوار وهمي؟
الصراع اليوم أيضاً هو صراع أجيال (جيل هرم وآخر صاعد) ، الجيل الصاعد يرى خياره الإسلامي وينحاز إلى هويته ، وهذا الجيل ينبت كشجرة طيبة داخل الوطن وخارجه في المنفى وفي فرنسا خصوصاً، حيث يقبل آلاف المهاجرين على دينهم وهم يشعرون بالعزة ، وقد يكون الصراع بين أجنحة السلطة صورة أصغر للصراع المحتدم بين الانتماء إلى جزائر »سي محمد« كما كان يقول بسطاء الجزائريين خلال حربهم مع فرنسا أو جزائر متفرنسة ، وهو صورة بلا شك لصراع شعب سلب اختياره وغُيب قراره وراء أقنعة »الننجا« التي يتخفى وراءها صغار الجنود والقادة حين يواجهون شعوبهم ، لقد حل الانقلاب الأول وما لبثت عــوارض السوء أن أوصلت الجزائر إلى جرف سحيق بالرغم من التخفي وراء رموز مدنية أثبتت إفلاسها ، وجرت البلاد إلى أجواء حرب أهلية (مهما اختلفت التسمية).
لقد شبه مسؤول فرنسي الوضع الحالي بأنه حرب أهلية سافرة ونتيجة مباشرة لفساد نظام الحكم الذي دفع البلاد إلى الإفلاس.
»إنهم كالطاعون القاتل ببطء، لكنه أفضل من الكوليرا القاتلة بسرعة«
وهكذا نحن في أعينهم طاعــون ، أو جرثومة كوليرا ، وهل نحن بحاجة هنا إلى شهادة أخرى تدين الغرب الذي يكيل بأكثر من مكيال..؟!
فـي الـبـدايــة اسـتـشـهـدنـا بـ »جاك فيرجسي« والآن علينا أن نسمع مفكراً غربياً آخر هو »سلفاتوري بونو »الذي يلـخص نظرة الغرب لنا بقوله: »الغرب ينظر للمسلمين باحتقار حتى ولو كانوا عملاءه ، فما بالـك بالأصــوليين؟ ، هذه الحركات الأصولية تمثل مصدر إزعاج للغرب وهو غير قادر ولا راغب في مناقشة طروحاتها...«
الجزائر اليوم في وضع حرج وهي تشهد انقلاباً ثالثاً ، وربما رابعاً ، وخامساً.. غير أنها بحاجة إلى انقلاب من نوع آخر ، انقلاب تتصالح فيه القيادة المنهكة مع شعبها الأعزل الذي يرفض أن يكون جرثومة.
إن الجــزائــري الـمسلم إنسان مهما حاول المتغطرسون أن يشوهوا من سيرة أمته الباسلة ، وهذا بالضبط ما شهد به الأعداء قبل الأصدقاء ، وهو بالتحديد ما يجب أن يدركه الذين نسوا في غمرة التهيج أن الجزائر ستظل مغروسة في عمق العالم الإسلامي والعربي ، وأنها بأحداثها المتوالية قــد سجلت لنا شهادات بالغة الأهمية والقيمة عن لؤم أعدائنا وعدالة حق الشعوب في أن تستعيد هويتها.

تجربة سجين جـزائرى:

اسمه »محمد« ، لقد وصف كيف أرغموه على ابتلاع سائل تبييض (كلوركس) مع الماء حتى التقـيّؤ، وضربوه بـمـسـدس كهربائي فجّر الحروق في قدميه ، وغطسوا رأسه في قاذورات المجاري حتى الاختناق. قال:»عندما رفض أحد الإخوة الإدلاء بمعلومات تحت التعذيب، عــذبت الشرطة والدته البالغة من العمر 55 عاماً ، لقد رأيتهم وهم يخرجونها من حجرة التعذيب.. كانت عارية، مغطاة بالدماء، لكنها نظرت إلينا وقالت: صبراً يا شباب!«.
من الصعب التستر على ما حدث لمحـمــد بعد هجوم 30 من عناصر الشرطة الملثمين على بيته في حي »سالمبير« في العاصمة الجزائريـــــة في الساعة الثانية صباحاً يوم 10 أكتوبر من العام الماضي ، عصبوا عينيه وألقوه في شاحـنـة تابعة للشرطة وأخذوه إلى كلية الشرطة في »شاتونيف .. أسابيع من التعذيب تبعتها أشهر من الظلام الدامس في سجن انفرادي.
ما كان محمد يخفي شيئاً من انتماءاته الإسلامية، كــان إمــــام أحــــد مساجد العاصمة الجزائرية ، وهو بالتأكيد أحد مؤيدي جبهة الإنقاذ الإسلامية التي تعـــــارض الحكومة الجزائرية منذ أن ألغت الانتخابات التي كانت توشك الجبهة أن تفوز بها.
يقول محمد: إنهم في كلية الشرطة التي تقع في حي »البيار« في العاصمة الجزائرية نزلوا به درجــــات سلم عديدة إلى سلسلة من الزنزانات ، ربما أربعة طوابق تحت الأرض وصفها بأنها (بـاردة كـالـثـلـج) ، كـــانت الزنزانات صغيرة جداً.. يقول محمد: »وكانت جدران الزنزانة التي كنت فيها ملـطـخـة بالـدمـــاء وفـيهــا أضواء قوية جداً لدرجة أنها كادت تعميني، كنت أستطيع سماع الصراخ القادم من الحجرات الأخرى.. نزعوا عني ملابسي وعصابة العينين ، كان جميع أفراد الشرطة ملثمين، بعضهم كان يتكلم بلهجة محلية من »قسنطينة« والجهة الغربية ، أما الآخرون فقد كانوا مــن العاصمة الجزائرية ، سألوني عن مكان الأسلحة فقلت لهم: لا أعرف وهي الحقيقة، أخذوني إلى فتحة مجاري صخرية في منتصف الحجرة ونزعوا الغطاء، كانت فتحة مجاري كبـيــرة، ودفـعـــوا برأسي داخلها فاختنقت من القاذورات واستمررت في إنكار أن لي أي علم بالبنادق، بـعـد ذلك قـيـدوني بحبل غليظ إلى مقعد من الإسمنت في أحد أركان الحجرة ، وسدوا فتحتى أنفي ليجبروني على فتح فمي ، ونقعوا قطعة من القماش في محلول من (مبيض الغسيل) وماء ، ثم جعلوا يعصرون السائل من قطعة القماش داخل فمي ، وفعلوا ذلك مـرات ومـرات حتى امتلأت معدتي بالمبيض والماء ثم ركلوني في بطني وجعلوني أتقيأ«.
لقد فعلوا أشياء فظيعة، في إحدى المرات وضعوا نوعاً من الغراء لمنعي من قضاء الحاجة ، ثـم جــاؤا بمـسـدس كلما أطلقوه على جلدي أعطى صدمة كهربائية كبيرة جداً سببت لي قروحاً وحروقاً مـن الدرجة الثانية أو الثالثة وسقط الجلد من قدمي« ، ونزع محمد صندله الأزرق وكشف عن قـدميه ،

لاتزال القروح واضحة للعيان رغم مرور ثلاثة أشهر ، قطرها ثلاثة سنتيمترات ، نسيج أثر الحروق باهت وواضح مقارنة ببقية جلده.
»لقد هددوا بجلب زوجتي وتعذيبها أيضاً لما رفضت الكلام ، لقد صنعوا ذلك مع رجال آخرين.. أحدهم (...) وهو شاب من »براكي« جاؤا بزوجته الشابة إليه ، ثم أخذوها إلى مكان آخر وعذبوها ، فيما بعد علم أنهم اغتصبوها فأصابه انهيار ، عندما رأيته أخبرني أنها ماتت من جراء ما فعلوا بها، ثم جاؤا بعد ذلك بأمه وعذبوها واغتصبوها أمامه وفيما بعد حكمت المحكمة بإعدام ذلك الشاب.
بعد ثمانية أيام في »شاتونيف« أخذ محمد إلى مركز شرطة في »مدانية« ثم بعد ذلك إلى مركز الشرطة الرئيس ، وبدأ فصل جديد من التعذيب..
يقول محمد: في الفصل الأخير من التعذيب في مركز الشرطة الرئيس كبلوا يدي وراء ظهري وربطوا قدمي معاً ثم ضربوا رأسي بالأرض بعنف ، وقفز أحد الزبانية على رأسي فانكسر أنفي وفقدت حاسة الشم وانخلعت أسناني« ، وبالفعل فقد كان كثير من أسنان محمد العلوية الأمامية مفقوداً »لقد عذبوني عذاباً فظيعاً حتى أنني بلّغت عن شقيقي وقلت: إن له ضلعاً في المقاومة وجاءوا به إلي وجهاً لوجه فقلت لهم: إن هذا غير صحيح، لكنهم كسروا أضلعه وبكى أخي وقال لي: سامحك الله«.
عند هذه النقطة انهار محمد بعد 33 يوماً من التعذيب ، ووقع على اعتراف بأنه قام بجمع الأدوية والمال للمقاومة ، واشتكى إلى قاضي المحكمة بأنه لم يكن له خيار غير توقيع الوثيقة: »يجب أن تفهم: لقد رأيت رجالاً يموتون تحت التعذيب« ، ويضيف محمد: »لقد عذبت في إحدى الزنزانات حيث كان الرجال يعلقون من السقف بقيود من حديد في أيديهم ، أصابهم الضعف من جراء التعذيب ، ورأيت رجلين ميتين معلقين، وأجساد ثلاثة آخرين ماتوا من جراء التعذيب بلهب جهاز لحم المعادن ، أما إمام (بومرداس) واسمه (حومي محمد) ، فإن عينيه قد اقتلعتا وهو على قيد الحياة، وترك ليموت في حجرة التعذيب ، وفيما بعد قالت الصحافة الجزائرية عنه: كان إرهابياً قتل في معركة بالبنادق مع الشرطة..«.

الهوامش :

*عن صحيفة الإندبندت الإنجليزية الصادرة في 4 فبراير 1994 (البيان)

المسلمون والعالم

قبض الريح
من أوسلو إلى دافوس

أحمد بن عبدالعزيز العويمر

لم يخرج حتى أكثر المراقبين تفاؤلاً بعملية الصلح بين (منظمة التحرير الفلسطينية) و(العدو الصهيوني) بأي أمل في إمكانية إتمام الصلح ، ولم يصدق ولن يصدق ما كان يمني به دعاة السلام شعبهم الفلسطيني من آمـال عراض نتيجة للصلح مع العدو ، وذلك على ضوء لعبة المفاوضات من أوسلو إلى دافوس مروراً بواشنطن وجنيف وطابا، حتى القاهرة... وهذا شيء نعرفه حق المعرفة وهو أحد المبررات التي جعلت المعارضين »الـصـادقـيـن« للـسـلام مع العدو يكفرون بالصلح معه لا لمجرد المعارضة فحسب ، وإنما لأسباب جوهرية سـبـق أن طرحت ومازالت تطرح منذ بوارق التصريحات بمهزلة (كامب دافيد) وما بعدهـا، وذلك للـعــداوة الصـريحة التي يكنها (يهود) للإسلام والمسلمين ، وهذا مسطور في القرآن الكريم في آيــات كثيرة منها: ((ولما جاءهم كتاب من عند الله مصدق لما معهم وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كـفــروا فـلـما جاءهم ما عرفوا كفروا به فلعنة الله على الكافرين)) (البقرة:89) ولما يمثله (يهود) من خـطــر عـلـى الأمـــة الإسـلامـيــة في مجالات الفكر والثقافة والاجتماع والاقتصاد والسياسة والقوة العسكرية(1) ، إن لم يستعد لهم بتقوية تلك المجالات كما دل عليه قوله تعالى ((وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة))،فإنهم يعملون وبكل السبل المتاحة لغزو أمتنا الإسلامية والقضاء على مقدراتها وإشاعة عوامل التخلف والانهزامية فيها ليتحقق ما يخططون له من أهداف بعيدة المدى.

ولا شك أن المستفيد الأكبر من هذه العملية الاستسلامية هم الصهاينة وهذا مشاهد وملموس للأدلة الآتية:

1 -إن للعدو الصهيوني استراتيجيته التي قـامـت دولته على أساسها وهو يعتبر ما احتل من الأراضي العربية جزءاً لا يتجزأ من أرضه التـي يزعــم أنه موعود بها ، ولذلك سماها بأسماء عبرية ، ولكنه قد يتساهل تكتيكياً لأهداف يريد تحقـيقها ومنها ما يمني نفسه به من غزو اقتصادي للمنطقة بعد بروز ما عرف بالسوق »الشرق أوسطـية« ، وبعد تهافت قومنا على السلام معه كتهافت الذباب على الشراب ، بل اتضح لنا أن مـنهـم مـن له اتصالاته السابقة بالعدو زمن (اللاءات الثلاث) وزمن (الصـمــود والتـصــدي)!! وهــو ما كتبت فيه دراسات موثقة ، تعكس حقيقة الانتماء وتوضح من هم أولئك القوم الذين يقولون خلاف ما يبطنون!(2).

2 -إن يهود مازالوا يعملون على إذلال الشعب العربي بعامة والفلسطيني بوجه خاص في أساليبهم التفاوضية ، وطرقهم الملتوية في تفسير بنود الاتفاق وفــق أهــوائهم وبما يحقق أهدافهم المرسومة.

3 -بعد اتفاقية ما سمي خيار (غزة أريحا أولاً) وإعطاء يهود وقتاً للانـسـحــــاب لـتـدير (م.ت.ف) تلك المناطق ، عادوا لوضع العراقيل بدءاً من عدم الموافـقـة على انـسـحــــاب جيشهم ، وادعاء أن المسألة مجرد

إعادة للانتشار ثم تحجيمهم للمـنـاطـق بحدود معينة ، وبعد عدة اجتماعات لم يعط الصهاينة ولا عشر ما كان يأمل به الـمـتفاوض الفلسطيني من آمال.
4 -جعلهم المستعمرات الصهيونية (المستوطنات) عامل عرقلة لتنفيذ الاتفاق ، وكل متأمل في التاريخ الصهيوني المعاصر يعرف أن تلك المستعمرات مناطق استراتيجية في الأماكن التي تختار فيها ، وتكون مسلحة وسكانها مسلحون ، فهي بؤر سرطانية تـثـيـر الرعب وتشيع الفاحشة في أي مكان تزرع فيه ، ولقد كشفت »يائيل ديان« حقيقة هذه الـمستوطنات وبينت ما يمارس فيها من إباحية(3) ، وهذه المستعمرات ستبقى تؤدي رسالتها ولن تسحب بقول »رابين« في خطاب أمام جمع ضخم من اليهود في أمريكا: (إن إسرائيل غير مـسـتـعدة لإزالة الـمستعمرات في الضفة والقطاع ، ومهما كانت الاتفاقية فالمستعمرات ستبقى وسيدافع عنها الجيش).
5-كان من معطيات هذا التوجه للسلام مع العدو وهذا ما خطط له يهود محاصرة الرافضين للتوجه الاستسلامي ، وبخاصة أصحاب التوجه الإسلامي ، وهذا ما حصل بالفعل وآثاره الخطيرة على الشعب الفلسطيني بدت واضحة للعيان.
6-إتيانهم بفكرة (الاستفتاء) على الانسحاب من المناطق المحتلة وهي أحبولة من أحابيلهم المعروفة في الالتفاف على ما قد يبدو من نتائج إيجابية مع أن تلك الاستفتاءات مرفوضة في القانون الدولي،إذ كيف تستفتي دولة شعبها على أراض احتلتها وهي تعترف باحتلالها؟! فهم يدّعون أن فـكـــرة الاستفتاء تلك سـتلقي بذور الشـقاق في صـفوف خصومهم (الليكود) والمستوطنين فإن وافـقـــوا على الفكرة فإن هذا لن يؤدي لاستجماعهم صفوفهم وقواهم ضد التسوية ماداموا سيحـتـكـمـــون إلى الشعب ، وإذا رفضوا سيظهرون بمظهر الرافض لآراء (الشـعب) لكن لو جاءت نتـيـجـــة الاستفتاء (سلبية) ففي هذه الحالة لابد من انتخابات جديدة ، وبالتالي تؤجل التسوية لعدة أشهر إضافية وإن عاد (الليكود) للحكم فإن نتيجة العملية ستكون معروفة سلفاً والـمـستوطنون الصهاينة مازالوا يقومون بتحركاتهم المكشوفة الرافضة للانسحاب، بل يقومون ببناء المزيد من المستوطنات غير المرخصة ، بل إن مجلس البلديات في الضفة الغربية وقطاع غزة المحتلين قد دعا لمضاعفة المستعمرات وإن عاد عن موقفه ظاهرياً.
7- إن لعبة التمديد والتمطيط للمحادثات،ووضع العراقيل في طريقها،هي إحدى الأساليب التي تـقـــــــوم بها إسرائيل مستغلة (اللوبي الصهيوني بأمريكا) لأخذ المزيد من الإعانات والكثير من وسائل الترضية الغالية الثمن.
8 - إن المسـتفـيد الأول والأخير من هذه العملية هو العدو الصهيوني نفسه فقد ظهر أمام العالم أجمع بأنــه الطرف الجانح للسلام ، بل استطاع بهذه العملية أن يحظى بمكاسب دبلوماسية مهمة ، فقد زار رئيس وزراء العدو (تركيا) ، وهناك 11 دولة من خمسين دولة عضو في (منظمة المؤتمر

الإسلامي) ذات علاقات دبلوماسية كاملة مع العدو الصهيوني وفي الأفق 22 دولة مسلمة لها اتصالات جارية لإقامة علاقات دبلوماسية فضلاً عما جناه العدو مــن ضـمـانـات لقروض جديدة من (أمريكا) إضافة إلى أسلحة متطورة، واجـتـذاب رؤوس الأموال الأوربية لدعم اقتصاده.

9 - الضحك على الذقون بوضع وجود غير مرئي للصهاينة في المعابر بحيث يكونون وراء زجاج عازل يَرَى ولا يُرى، وبإمكانهم منع دخول أي فلسطيني مسافر وتفتيشه واستجوابه ولكن بحضور محام فلسطيني!!

هذه معطيات المفاوضات!

*لم يجن المتفاوض الفلسطيني شيئاً حتى الآن ، ويتوقع ألا يجني شيئاً ذا بال ، فمازال العدو يماطل فيما وعد به وفي الوقت نفسه يضرب بيد من حديد على إخواننا في الأرض المحتلة ، ويسوم الناشطين في مقاومته سوء العذاب ، ولا يمر يوم إلا وقد قام بقتل عدد من رجال المقاومة الإسلامية الرافضين لتطبيع العلاقات معه.

*تناسي العملية السلمية (فلسطينيي المهجر) ، والأدهى والأمر هو المطالبة بتوزيعهم خارج وطنهم المحتل ، ولقد صرح »بيريز« مؤخراً أنهم يعارضون إقامة فلسطينيي الخارج في غزة وأريحا.

*قوة الأمن الفلسطينية التي أعدت لتقوم بالأمن وضرب كل معارض لتوجه (السلام) ستقوم بالدور الصهيوني نفسه وسيكون ضحيتها أبناء فلسطين فهل هذا في مصلحة هذا الشعب ، أم أنها ستأتي بالمزيد من الـمـعـاناة والمزيد من الشقاق والمزيد من المواقف المؤدية إلى ردود الأفعال الشديدة.. والمستفيد الأول هو العدو نفسه.

*ظهور الميول الخفية للعلاقات مــع اليهــود بشكل سافر ، حتى أن بعض الدول العربية تستعجل تطبيع العلاقات الاقتصادية مع الـعـدو والتبادل التجاري معه بأقصى ما يمكن ، مع وجود المقاطعة العربية التي مازالت على الأقل (شكلياً) قائمة ، ولم تلغَ رسمياً حتى الآن ، وهناك دعوات لوضعها على جدول أعمال أقرب لقاء في الجامعة العربية للمطالبة بإلغائها على ضوء الضغوط الأخيرة.

*صـار للعدو الصهـيوني أدوار أكثر فاعلية في العمل الاسـتخـبـاراتي وصارت جواسيسه تصول وتجول في بعض الدول العربية وذلك بدعوى أنهم وفود شعبية أو ثقافية أو حتى ادعاء (أنهم وفود يهودية لا صهيونية)!! وصــار مــن يقـبـض عليه بالجرم المشهود في التجسس للعدو يعاد مكرماً معززاً ، ولو حوكم وأدين بجريمته.

*عقد اليهود في المغرب ولأول مرة في دولة عربية وبمباركة رسـمـيــة مـؤتـمــرهم الأولى في 5/2/1994م تحت شعار (إعادة إحياء اليهودية المغربية في أفق تنوعها وامتدادها في العالم) ، ويحضره مندوب صهيوني هو نائب رئيس الكنيست (رافي درعي) ، وقبل هــذا المؤتمر زار المغرب وفد

من جماعة (بناي برث) الصهيونية الدولية المحظورة في بعض الدول العربية لكونها مؤسسة صهيونية ، ومعلوم أن (التجمع اليهودي المغربي) ثاني أبرز تجمع صهيوني في العالم بعد اللوبي الصهيوني (إيباك) في أمريكا ، ومن المتوقع أن يكون نتيجة هـــذا التوجه للسلام مع العدو والمؤتمرات الصهيونية في بعض الدول: المطالبة وبإلحاح للإفـــراج عن الجواسيس الصهاينة في البلاد العربية وعلى رأسهم (عدنان ياسين) العين الصهيونية في السفارة الفلسطينية بتونس الذي ألقي القبض عليه بالجرم المشهود مؤخراً. وهناك تفكير صهيوني جاد يسعون لطرحه وهو اللعب بورقة المعتقلين الفلسطينيين وطلب مقايضتهم بالمتعاونين معها!.

*مازال العدو متمسكاً بآرائه الداعية لأن تصبح نتيجة هذا الاتفاق كياناً هـزيلاً ليس إلا، بل سيكون تحت رحمتـه بالشـروط التي تقضيها هيمنته وحتى ما نشر في (وثيقة القاهرة) مؤخراً لا يرقــى إلى مستوى ما اتفق عليه سابقاً من التحفظ على مساحة أريحا والسيطرة الصهـيونية على المستعمرات. وهناك مناطق ستقسم السلطة فيها بين الطرفين بالإضافة إلى مسؤولية الصهـايـنـة عــن الـمعابر الدولية ، وقد ادعت الإذاعة الصهيونية مؤخراً أنهم سينتهون عام 1995 م من إقامة سياج حول قطاع غزة المحتل بطول 65 كم مزوداً بجهاز إنذار كهربائي سيطوق القطاع الذي ينتظر أن يشهد بداية تطبيق الحكم الذاتي.

فأي مكاسب سيحققها السلام المزعوم مع العدو وهو بتلك المثابة؟!

ولا يغيب عن البال ما قاله »رابـيـن« عــن زمــن الانسحاب الذي كان مقرراً في 13 ديسمبر الماضي وأُجل إلى 13 إبريل القادم ، حينما قال: »ليس هناك تواريخ مقدسة«.

المزيد من التضليل!

يعلن دهاقنة (م.ت.ف.) تضليلاً للأمة أن المعارضة للسلام في صفوف الشعب الفلسطيني ليست إلا وليدة الظروف الاقتصادية الصعبة للشعب الفلسطيني في الأرض المحتلة مما جعلهم يتمسكون بالرؤية الرافضة للسلام التي تلبي رغبة القصاص من العدو المحتل الذي طالما آذاهم ، وهذا ما صرح به (عرفات) مؤخراً بقوله: »إن المجموعات المتطرفة ستستفيد من أجواء الفقر والظلم وانعدام الاستقرار والتوازن،وأضاف قائلاً : »إن الأساس الأهم للتوصل إلى الاستقرار هو العدالة والعدالة والعدالة لنا جميعاً«! ولا ندري أي عدالة يمكن أن يعطيها اللـصـوص ومصاصو الدماء، لاسيما وأنهم مازالوا يعرقلون التسوية التي وقّعوا عليها، بـل إنهم وبأســالـيـبـهـم المعروفة يلوحون بالتهديد النووي ، وقد صدر مؤخراً كتاب (الكتلة الحرجة) الذي يـكـشــف ما في الترسانة النووية الصهيونية من سلاح، والذي جهز لها صاروخهم (أريحا/2) الذي يبلغ مداه 1400 ميل ، وبه تكون حتى دول أوربا الشرقية في متناول

ذراعهم النووية،فأي سلام يزعمون وهم يعدون العدد بمثل هذه الأسلحة النووية؟!

موقف الإسلاميين والعلمانيين:

لا شك أن الأوضاع الـمـتـردية التي يعيشها الشعب الفلسطيني المسلم ومعاناته الطويلة من جور وإذلال العدو الصهيوني مشاهدة وملموسة ، ثم إن فشل العنتريات العربية في استرداد حقوقه.. وليأسه من الأحزاب التي طالما تحدثت باسمه، ودعت إلى استقلاله وهي المستفيد الأول لرفع حساباتها في البنوك من جراء تلك الدعاوى، والتي ماتزال تدعو لاستغلال هذا الشعب المسلم وزيادة أرصدتها المادية والمعنوية باسمه، كـل ذلك جـعـلــه يفقد الثقة فيهم جميعاً ، نعم سقطت الأحزاب المادية والعلمانية سقوطاً ذريعاً، وانكشفت حقيقة توجهاتها وطبيعة ولاءاتها،وهي وإن كانت ماتزال ترفع لواء المعارضة للسلام مع العدو فهي تعلم بأن هذا هو الأسلوب الوحيد الباقي لتستجيش به العواطف.

ومادام أن هناك بعض الدول التي مازالت ترفع لواء المعارضة للسلام مع العدو لأسباب مؤقتة فيما يبدو ، فستكون تلك الأحزاب العلمانية بالفعل في مواقف لا تحسد عليه بعد سقوط أسيادهم في وحل الاستسلام ، أما الإسلاميون الذين مازالوا منذ كتائب التحرير الأولى لا يرون الحل إلا بالجهاد* ، فهم يدعون الأمة إلى المزيد من الوحدة وإلى المزيد من التعاون ليكونوا يداً واحدة.

هذا نهج الإسلاميـيـن عـبـر التاريخ مروراً بعزالدين القسام وفرحان السعدي ومحمد أمين الحسيني وأحمد ياسين وغيرهم(4).

ولا يخفى أن معارضة الأحـــــزاب العلمانية الفلسطينية إنما لسبب أنها لم تعط وزناً من خلال المكاسب المحددة التي سـتـحـظـــى بها (م.ت.ف) والمنتمين لها ، بينما معارضة الإسلاميين معارضة في سبيل الله ثم لوجــــــه الحق الذي يؤكد أن فلسطين بلاد إسلامية مقدسة لا يمكن بحال أن يفرط فيها بأي حلول لا تلبي أدنى حقوق شعبها المحتل ، فضلاً عما يشكله الصلح مع العدو الغاصب من إقرار لاحتلاله أراضي إسلامية لا يصح بحال من الأحوال إقراره عليها مهما كانت الدوافع**.

فإلى أولياء الله وأحبابه من المجاهدين في سـبـيـلــه الرافعين لرايته ، الحذر.. الحذر من اليأس من رحمة الله ، وما عليكم أن تدركوا النصر مادمتم عاملين للوصول إليه.. هذا هو الطريق لاسترداد الأرض المقدسة ، وما عداه فإنما هو قبض الريح!((وإن تتولوا يسـتبدل قوماْ غيركم ثم لا يكونوا أمـثالكم)) (محمد: 16) ، والله غالب على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون(5).

مذبحة الخليل والعجز المريع حيالها:

في يوم الجمعة الخامس عشر من رمضان 1414 هـ وهذا العدد ماثل للطبع حدثت مذبحة الصهاينة في المسجد الإبراهيمي بالخليل التي نسبت إلى الصهيوني المتطرف (جولدشتاين) أحد أنصار جماعة »كاخ« المتطرفة والتي قتل فيها المـصلــون وهم سجود وقد بلغ عددهم ما ينيف على تسعين شهيداً فيما نحسبهم والله حسبهم ولا نزكي على الله أحداً.
وقد نقلت نشــرة (قدس برس) عن شهود عيان أن الجنود الصـهـايـنـة حاولوا منع المصلين المسلمين من دخول المسجد بحجة احتفال اليهود بعيد (البوديم) وكانوا يستفزون المسلمين منذ مساء الخـمـيـس بإطلاق الألعاب النارية تجاههم ، ولما أصر المسلمون على الدخول إلى المسجد سمحوا لهم، وعـنــد العاشرة مساء طلب منهم الخروج من المسجد واعتدي عليهم بالضرب.. وعند قدوم المصلـيـن لأداء صلاة الفجر من يوم الجمعة بأعــــداد كبيرة قدرت بحوالي ألف وخمسمائة مصل،وبعد إقامة الصلاة وعند الركوع الأول ثم السجدة الأولى سمع إطلاق النار الكثيف من الخلف وكان يقوم به جندي بزيه العسكري الرسمي والذي تحصن بأحد الأعمدة عند إطلاقه النار، ويعتقد بأنه أطلق حوالي ثمانية مـخــــازن من الرصاص، وأكد شاهد آخر أن جندياً آخر أطلق النار على الملين وبصورة عشوائية.
وأكد الشهود بأن الجنود الصهاينة على غير عادتهم لم يحضروا لحراسة المسجد ، وإنما وقفوا بالقرب من الساحات الخارجية ولم يدخلوا المسجد إلا بعد توقف إطلاق النار تماماً، مما يوحي بتواطؤهم مع الجناة ، وقد قام المصلون بالقبض على أحد المهاجمين وضــربوه بطفاية الحريق حتى هلك ، ولم ينتحر كما زعمت الحكومة الصهيونية.
ومـــع ردود الأفعال الشديدة المستنكرة لهذه المجزرة ضد الشعب الفلسطيني ، وبعد عقد جـلـســة لمجلس الأمن الدولي لمناقشة الموقف والمطالبة بحماية دولية للشعب الفلسطيني ، وقفت أمـريـكـــا ضد أي إدانة للعدو الصهيوني وبكل بجاحة يقول وزير خارجية العدو (يوسي بلين): إن الأحداث المأساوية في الخليل يجب ألا تكون مبرراً لأي شرط لاستئناف مفاوضاتهم مع المنظمة.
والعـمـلـيـة فيما ظـهـــر من شهادة الشهود مخطط لها ولم تكن عملاً فردياً والخطوة التالية يجب أن يؤكد على إلزام العدو بنزع السلاح من المستوطنين وليس (المتطرفين) فقط.
إن الصهاينة لا يعرفون سوى أسلوب واحد فقط يوقفهم عند حدهم ، فهل يفطن له أنصار الحل السلمي الذين لم ينتج عن توجهاتهم تلك سوى السراب؟ هل يفطن الغارقون في وحل السلام إلى الموقف الحق أم على قلوب اقفاله؟!

الهـوامـش:

(1) مخاطر الوجود اليهودي على الأمة العربية ، د. محمد عثمان شبير.

(2) انظر (الاتصالات السرية مع إسرائيل) لجمال الدين حسين.
(3) (البيان) العدد (65) ، انظر مقالة (يائيل ديان والثوار والمبادئ).
(4) لمزيد بيان لرأي الإسلاميين من قضية السلام مع العدو انظر (لماذا نرفض السلام مع اليهود) لمحسن عنبتاوي.
(5) رُجع إلى الكثير من قصاصات الصحف اليومية مثل: القبس 7411 في 3/2/94 الوطن 6460 في 20/8/1414هـ، الشرق الأوسط 5545 في 22/8/1414هـ والعدد 5547 في 4/2/94، الحياة 11285 في 6/7/1414هـ والعدد 11289 وغيرها.
*انظر مقالة (فهمي هويدي) في مجلة المجلة، العدد 730، عن حقائق هامة يقوم بها العدو لصالح المستوطنين ومستعمراتهم أثناء عملية السلام هذه.
**نحذر إخواننا الفلسطينيين من توجهات بعض الجماعات المنتسبة للإسلام مثل منظمة (الجهاد الإسلامي) ذات الأيدلوجية المشبوهة المخالفة لعقيدة الأمة، ولذلك يهدد زعيمهم بنسف التحالف للفصائل الفلسطينية العشر المعارضة للسلام لو اشتركت(حماس) في انتخابات الحكم الذاتي،لعلمه بسقوطه وأشياعه من المعارضة الصوتية لو اشتركت »حماس«.

المسلمون العالم

الإنجليز: من الملك ريتشارد »قلب الأسد« إلى اللورد ديفيد أوين

د. يوسف الصغيّر

مهما قلنا عن برود الإنجليز، وهل هو ميزة أم عيب، فإن دهاءهم السياسي هو من الصفات التي أجمع عليها الناس منذ اليوم الأول الذي أخرجت فيه السلحفاة رأسها أي خروجهم من جزيرتهم الصغيرة إلى أصقاع بعيدة تجاوزوا فيها مستعمراتهم على الساحل الفرنسي المقابل لهم فإن وجهتهم كانت المشاركة الفعالة في الحروب الصليبية، وذلك بعد أن استرد صلاح الدين بيت المقدس وطهرها من رجس الصليبيين ، وكان الصراع السياسي والعسكري الذي جرى بين صلاح الدين الأيوبي رحمه الله وريتشارد »قلب الأسد« ملك الإنجليز هو أول اللبنات في علاقة الإنجليز مع العالم الإسلامي ، وإذا علمنا مدى تقديس الإنجليز لملوكهم ، فإننا لا نستغرب ثبات السياسة الخارجية للإنجليز وعملها المستمر على إضعاف المسلمين بالطريقة الإنجليزية المعتادة ، وهو العمل على إيجاد آثار مستديمة للاستعمار، أو بالأحرى عاهات مستديمة. وإليك بعض الأمثلة على سبيل المثال لا الحصر:
1- تسلل الإنجليز إلى الهند بدعوى التجارة ، وكان الحكم فيها للمسلمين وخرجوا منها بعدما قسمت قسمة ضيزى إلى قسمين أحدهما يحكمه

الهندوس والثاني يحكمه المسلمون مع مشكلات لا حصر لها ، فالمنطقة لم تستقر منذ خروج الإنجليز عام 1947م.
2- وأيضاً تسللوا إلى مصر بدعوى التحالف مع الدولة العثمانية ضد الفرنسيين، فحكموا مصر، وضموا إليها السودان، ثم فصلوا السودان، وابتكروا نظام المناطق المعزولة، مـمــا أورث السودان مشكلة الجنوب الحالية.
3- استولوا على عدن بدعوى الحفاظ على خطوط الملاحة ، وعندما خرجوا منها سلموا الحكم فيها للشيوعيين الذين مازالوا يفسدون في البلد إلى الآن.

دورهم في إنشاء دولة إسرائيل:

وللتشابه الكبير بين ما جرى في فلسطين وما يجري في البوسنة، فـإنــه من المناسب إلقاء بعض الضوء على بعض الملامح المهمة في طريقة الإنجليز في إقامة دولة اليهود في فلسطين، ومنها:
أولا: أن وعد بلفور هو رسالة شخصية من وزير الخارجية البريطاني إلى اليهودي حاييم وايزمــان الذي كان من زعماء الحركة الصهيونية ومع ذلك كانت هي قطب الرحى في سـيـاسـة الحكومات البريطانية المتعاقبة ولا أظن أن ذلك بسبب احترام تعهد عضو في حكومة سـابـقـة بقدر ما كان تحالف نصراني صليبي لإقامة دولة اليهود في هذه المنطقة الحساسة »فلسطين« ، مما يحقق مصالح غربية بعيدة المدى وفي الوقت نفسه يحقق أهداف الصهيونية النصرانية التي ترى مع قيام دولة إسرائيل قرباً لنزول المسيح، وهو في الحقيقة (المسيخ الدجال).
ثانيا: قـيــام الإنجليز بالعمل تحت غطاء عصبة الأمم التي أصدرت قراراً يجعل فلسطين تحت الانتداب الإنجليزي ، وتم تعيين اليهودي هربرت صموئيل مندوباً سامياً لهم هناك.
ثالثا: قام الإنجـلـيـز بــإدارة الأمور في فلسطين بناء على مبدأ إيجاد المشكلة ثم التظاهر بالعمل على حلها ، فـقـامــوا بتشجيع هجرة واستيطان اليهود في فلسطين ، وبعد ذلك أظهروا الحرص على حل مـشـكـلة التعايش بين العرب واليهود مع الحرص على الظهور بمظهر الجهة المحايدة!!
رابعاً: أنهم لا يخجلون من إرسال لجان تقصي الحقائق كأنهم لا يعرفونها وفي إصدرار التقارير التي يطلقون عليها أسماء مثل »الكتاب الأبيض« للإيحاء بالعدالة ، ومثلاً في سنة 1992م أصدرت الحكومة البريطانية كتاباً أسمته »أبيضاً« شرحت فيه أهدافها في فلسطين ، وجاء في هذه الوثيقة أن الغرض لم يكن تحويل فلسطين بأكملها إلى وطن قومي لليهود بل أن يقام هذا الوطن في فلسطين ، ويستبعد هذا الكتاب شرق الأردن من نطاق وعد بلفور ، وفي عام 1939 م وبعد القضاء على الثورة الفلسطينية الكبرى نشرت الحكومة البريطانية كتاباً »أبيضاً« أيضاً جاء فيه:
*إن تعهدات بريطانيا بإقامة وطن قومي يهودي قد تحققت بالفعل.

*إنشاء دولة واحدة مستقلة بعد مـضـي عـشـــر سـنـوات شرط توفر علاقات مواتية بين الفلسطينيين واليهود!!
خامساً: وكما حصل في فلسطين من حرص السلطات الإنجـلـيـزية آنذاك على تجــريـــد الفلسطينيين من السلاح ، وكان يتم تنفيذ الإعدام شنقاً في الفلسطينيين الذين تثبت عليهم تهمة حيازة السلاح ، مع قيام هذه السلطات في الوقت نفسه بتسليح وتدريب قوات اليهود تحت لافتة »شرطة المستعمرات اليهودية«، يحدث الآن في البوسنة منع السلاح عن المسلمين بدعاوى باطلة وحقيقتها تجريدهم من وسـائـل الـمـقـاومـــة المشروعة ليكونوا صيداً سهلاً لأعدائهم من الصرب والكروات..
سادساً: وفي آخر مشهد من المسرحية يقوم الإنجليز بتحويل القضية إلى الأمم المتحدة التي تكرمت بعد عدة اقتراحات صورية لحل ما يسمى بمشكلة التـعـايــش بإعــلان قيام دولة لليهود في فلسطين ، وسارعت الدول الكبرى إلى الاعتراف بها ، وضـمـــان أمنها بدعوى أنها دولة عضو في هيئة الأمم المتحدة مع كونها دولة مغتصبة لأراضي لا تملكها.
ســـابعاً: عدم الممانعة في إصدار الأمم المتحدة لقرارات كثيرة متتالية تدور حول التقسيم ، ثم وقف إطلاق النار والانسحاب من الأراضي المحتلة وعودة اللاجئين الفـلـسـطـيـنـيـيـن وتعويضهم ، وينتهي عجبنا عندما يكشف بطرس »غالي« أن هناك قرارات ملزمة وأخرى غير ملزمة ، وعادة ما تكون القرارات الملزمة علينا ، والقرارات غير الملزمة لنا ، فلنا قرارات الـمـدن الآمنة وحظر الطيران في البوسنة ، وعلينا الكثير الكثير من القرارات الملزمة والتي مايزال قطاع كبير من المسلمين يعاني من آثارها الخطيرة بدعوى تطبيق قرارات هيئة الأمم المتحدة.
وأمــــا آخر ممثلي الامبراطورية العجوز في حياكة وتدبير المؤامرات فإنه »ديفيد أوين« ابن الأرستقـــراطية الإنجليزية الذي يمثل »الجنتلمان« صاحب الابتسامة الصفراء ، الذي ينفذ سـيـاسـة بــلاده بتصميم يقل نظيره ، فعلى الرغم من كثرة الانتقادات الموجهة إليه بشأن دوره في الـمـفـاوضـات وتحيزه الواضح للصرب أولاً وللكروات ثانياً ، فإنه ظل يردد نفس المقولات في أن رفع حظر السلاح عن المسلمين لن يحل القضية ، بل ويطلق التهديدات ضد المسلمين بقبول طروحــــات الصرب والكروات وإلا فإنهم سيواجهون الفناء ، وعندما تدور الدوائر على الكروات فإنــنـــا نجده أحرص الناس على عقد الهدن والاتفاقات الصورية ، حتى يلتقط الكروات أنفاسهم ، وهناك ملاحظة مهمة تبين فضيلة الصبر التي يتحلى بها وقدرته على تحمل تمثيل هذا الدور لمدد طويلة فإن »فانس« استقال ، وأما قائد قوات الأمم المتحدة البلجيكي فإنه لم يـطــــق صبراً فانتقد دور الأمم المتحدة في البوسنة مما أدى إلى إزاحته عن منصبه واستدعائه إلى بلجيكا، أما »أوين« فأنه ثابت في مواقفه ، باق في منصبه؛ لأنـــــه يمثل سياسة بريطانيا فـي البوسنة التي تتبناها الدول الأوربية

على العموم ، أما الموقف الأمـريـكــــي فأعتقد أن أفضل تصوير له هو تصريح مساعد وزير الدفاع الأمريكي السابق في أن محاربة الأصولية والإرهاب كما يدعي يقتضي إظهار الاهتمام بقضية المسلمين في البوسنة ، وحتى الآن فإن موقف أمريكا لا يتعدى كثيراً (المواقف الدعائية).
وأخيراً فإن موقف دول الغرب التي ترفع راية الحياد عالياً من أحداث البوسنة ، قد أفرز مواقف أخرى توضــــح مقدار التحول في سياسة الغرب بعد سقوط النظم الشيوعية ، فمن جهة نجد مثلاً بريطانـيــا تـتـبـنـى التصدي لأي محاولة لإقامة كيان إسلامي في أوربا ، وبالتالي ينبغي وأد دولة البوسنة ، ومحاولة تهدئة الأوضاع في بقية مناطق البلقان المرشحة للإنفجار في لحظة مما سيفقد الصرب القدرة على التصدي للمد الإسلامي في أوربا ، الذي لا يتناسب مع دعاوى العلمانية، ولـهــذا نـجــد بداية تحول إدخال الكنيسة رسمياً في الصراع العقدي الذي يتوقع الإنجليز نشوبه عاجلاً أو آجلاً ، وفي هذا الإطار يكتمل الدور الإنجليزي فهم في البوسنة يحاولون إحكام قيد الضحية المسلمة ليكمل الجلاد النصراني مهمته ، أما في بلاد السودان فإن من يمثل الكـنـيـسـة الانجليكانـيـة وهو الدكتور (جور كيري) رئيس أساقفة كانتربري يقوم بمحاولة مستميتة من أجل الإبقاء على حيوية التمرد في الجنوب والمدعوم من الغرب ، وقد تراوحت لهجته في التصريح بأن الهدف هو الحفاظ على جنوب السودان تحت هـيمـنة الأقلية النصرانية والوقوف في وجـــه محاولة إدخال جماهير الوثنيين في الإسلام، وبين المراوغة بقولـه أنه يأمل أن يعيش الإسـلام والنصـرانية في وئام ثم يقوم بمحاولة جــادة من أجل توحيد قادة التمرد ، ولا يرى بأساً في الزعم أن جميع قادة التمرد وتوحيد جهودهم هو من أجل السلام ، كما صرح »أوين« من قبل بأن رفع حظر السلاح عن المسلمين في البوسنة لا يساعد في عملية السلام.

بريطانيا: الكنيسة والدولة:

إن ملابسات تحول الإنجليز من الكاثوليكية إلى البروتستانتية الخاصة بهم (الإنجليكانية) ، تدل على أن الإنجليز على دين الملك وكفى ، ولهذا خلافاً لجميع دول العالم النصراني فإن الملك أو الملكة هو رئيس الكـنيســة الإنجليزية ولهذا فإن الكنيسة هي كنيسة الدولة وجزء من أجهزتها المهمة ، خاصة فـي الميدان الخارجي ، حيث إن الكنيسة الإنجليزية تعيش حالة من الانفصام ، ففي الداخـــل نلاحظ أن غالبية الإنجليز لا دنيين ، وتعاني الكنائس من ضعف الإقبال ومن زار بريطانيا سيلاحظ الكثير من الكنائس معطلة ، ويعرض كثير منها للبيع أما في الخارج فإنها لعبت وتلعب دوراً كبيراً في توطيد النفوذ الإنجليزي، وعلى سبيل المثال فإن الكنيسة هي التي تولت نشر الثقافة واللغة والعادات الإنجليزية في الـــدول التي رزحت فترة من الزمن تحت نير الاستعمار عن طريق المدارس والمستشفيات الكنسية ، أما في الجانب السياسي فإن الكنيسة تلعب دوراً مساعداً ومن الأمثلة على ذلك حادثة (تيري

ويت) مبعوث الكنيسة إلى لبنان ، حيث تبين أن المذكور لا يعدو كونه غطاء لعملية سـريـة تقـــوم بـهــا المخابرات المركزية الأمريكية في لبنان من أجل إطلاق سراح الرهائن، وكان خطفه نتيجة لتعثر المباحثات.
أما آخر مساهمات الكنيسة فهي حادثة زيارة رئيس الأساقفة إلى السودان عن طريق كينيا متجاوزاً سيادة الحكومة السودانية، مما أدى إلى طرد السفير البريطاني في الخرطوم،الذي وضع الحكومة البريطانية في موقف لا تحسد عليه*.

الهوامش :

*في العدد الماضي تطرقت »الـبـيـان« بدراسة مستوفية لهذا الموضوع تحت عنوان (ليس دفاعاً عن السودان قراءة هادئة في قضية طرد السفير البريطاني من السودان).

في دائرة الضوء

الجذور التاريخية لسياسة تجفيف المنابع

د. أحمد بن محمد العيسى

لم تكن سياسة تجفيف المنابع التي تـتـبـعـهـا بعض الدول العربية للحد من تغلغل عقيدة الإسلام وتعاليمه في المجتمع ، ووصولها بالـذات إلى عقول الناشئة من أبناء المسلمين.. لم تكن وسيلة جديدة تفتقت عنها عقول مـنـظـري العلمانـيـة والتغريب في العالم الإسلامي في الآونة الأخيرة. إنها سياسة لها جذور تاريخية تمتد إلى الـمـواجـهـــات الأولى بين الحق والباطل منذ أن صدع رسول الله بالرسالة الخاتمة في مكة ، لقد دأبت قريش على محاولة منع وصول كلمة التوحيد إلى آذان الناس داخل مكة أوآذان القادمين إلـيـهـا ، سواء أكان قدومهم للتجارة أو للحج ، ولقد وجه صناديد قريش جهودهم إلى المنبع الأول صــاحـــب الرسالة عليه الصلاة والسلام لمحاولة الحد من تأثيره ، وقطع الوسائل المعينة على إيصال كـلـمـــة الحـــق للـنـاس ، فكانت محاولاتهم متعددة الوسائل: منها ما كان بالترغيب أو الترهيب ، أو المقاطـعــة الاقتصادية ، أو الاستهزاء والسخرية ، أو غير ذلك من الوسائل التي لا تخفى على من قرأ السيرة النبوية واستلهم دروسها.
ولكن الرسالة التي أراد الله لـهـــا أن تكون رسالة خاتمة ، أصبحت من القوة والمنعة بعد وفاة الرسول -صلى الله عليه وسلم- بحيث فاضت منابعها علماً ودعوة وتعليماً وحكماً بين الناس ، ولم يعد بالإمكان تجفيفها في أرض الإسلام لتجذرها في أعماق مؤسسات المجتمع آنذاك ، وعلى الرغم من المحاولات الـعــديـــــدة من قوى الباطل لدحر الإسلام وإلحاق الهزيمة بالمسلمين ، وإثارة الفتن العقائدية والسياسية في المجتمع ، إلا أنه لم تكن هناك محاولات عميقة وجذرية لتجفيف منابع الإســـلام الـمـتنوعة في حواضر العلم

والتدريس والدعوة والجهاد. ولكن التاريخ الحديث يبرز لنا محاولة مستميتة لتجفيف المنابع ، تمثل تجربة ونمـوذجـــاً للـتـجــارب الحديثة التي جرت وتجري هنا وهناك في بلاد العالم الإسلامي، وهذه التجربة هي تجربة الحزب الشيوعي السوفيتي فـي بدايات هذا القرن عندما قرر منظرو سياساته القضاء على الدين الإسلامي ؛ لأنه يمثل الحـصـــن الحصين ضد هيمنة الشيوعية على البلاد التي حكمتها.
ولعــل المرحلة التاريخية المعاصرة التي بدأت منذ بداية هذا القرن العشرين هي من أكثر الفترات غموضاً وتغيبياً عن عقول المسلمين ، على الرغم من أن المسلمين اليوم يعيشون في ظل إفرازات الأحداث التي حدثت في تلك الفترة. ومما يؤسف له أن تـلـك الأحــــداث العظيمة التي وقعت في بلاد العالم أجمع مثل الثورة الشيوعية والحربين العالميتين،وانتهاء مرحلة الاستعمار العسكري ، ونشوء الدول القومية في البلاد العربية ، ليست غائبة عن أذهان الشباب المسلم الذي يدرس في الجامعات والمعاهد فحسب ، بل هي غائبة أيضاً عن عقول كثير من الدعاة والمفكرين الإسلاميين والعاملين للإسلام في كل مكان تقريباً.
ويحدثنا كتاب (المسلمون في الاتحاد السوفيتي) الذي ألـفه الفرنسيان (بينغسن ولمرسييه) وصـــدرت طبعته الإنجليزية في عام 1967 م عن صورة تاريخية للتجربة الأم لسياسة »تجفـيــف المنابع« ، التي رسمها المفكر الشيوعي من أصل مسلم »سلطان غالييف« للحزب الشيوعي ، وقام الحزب بتنفيذها بلا هوادة منذ بداية سيطرته على المنطقة الإسلامية في آسيا الوسطى وبلاد القفقاس والقوقاز ، و »سلطان غالييف« مفكر بدأ حياته بالتنظير لإسلام عصري (كما يفعل أصحاب الفكر الإسلامي المستنير اليوم) ، وانضم إلى حزب »الجديد« في طشقند ، وهو أول منظمة سياسية مناهضة للوجود الروسي ، و »للمرجعية الدينية« معاً ، ثم انضم »غالييف« للحزب الشيوعي بعد الثورة الشيوعية ، وكان كما يقول الكتاب »الزعيم المسلم المرموق بين أقرانه من الزعماء ، وكان أكثر الزعماء حظاً في الحزب الشيوعي ، فقد كان عضواً في مجمع مفوضيات الشعب لشؤون القوميات ، ورئيس تحرير مجلة القوميات الموسكوفية ، وأستاذاً في جامعة شعوب الشرق ، ويد ستالين اليمنى ، والزعيم الشيوعي المسموعة كلمته في شؤون سياسة القوميات ، فليس من العجيب إذن أن تكون نظرياته بشأن الثورة الـشـيـوعـيــــة موضع تقدير وقبول من أبناء دينه الذين قبلوا بالتعاون مع النظام السوفيتي ، ولذا فإن أفكاره كانت تمثل مع اختلافات محلية نموذجاً لكل الشيوعيين الوطنيين ما بين سنتي 1920- 1923 م ، لا بل استمر هذا شأنه حتى سنة 1928 م أي بعد أن حلت عليه غضبة الحزب للمرة الأولى ..«.

وقد أدرك ذلك الـمـفـكــر أن طبيعة الإسلام غير طبيعة الأديان الأخرى التي حاربتها الشيوعية ، لأن الإسلام كما يقول الكتاب: »أشد خطراً من غيره من الأديان على النظام الشيوعي لأن عمل المسلـمـيـن بأحكام الإسلام الشرعية والأخلاقية ، يميز المسلمين عن غيرهم ، ويقيم بينهم وبـيـن الشعوب الروسية السوفيتية وفي المقام الأول الروس أنفسهم حواجز نفسية من الصعب التغلب عليها...«
ولكن »سلطان غاليف« رسم سياسة النفس الطويل للقضاء على الإسلام ، وأشار إلى الخطوط العريضة في سياسته تلك فـي مـقـال نشره في مجلة (جيزن) عام 1920م، ومن ملامح هذه السياسة وجوب »إبعاد المسلمين عن دينهم بمراحل تدريجية لا تثير صداماً أو مقاومة قد تتخذ شكل حرب وطنية وفوق ذلـك كـــان على الدولة الشيوعية أن تبعد عن نفسها ظن المسلمين وهي تشن حرباً على الإسلام أنـهــا إنما تفعل ذلك استمراراً للحملة التي شنها عليهم المبشرون المسيحيون في القرن التاسع عشر...« ، ويستدرك المؤلفان بعد هذه الإشارة فيقولان: »غير أن صرف المسلمين عن هذا التـفـكـير ، كان مستحيلاً لأسباب منها: أنهم خلعوا ثوب الكهنوت وانضموا إلى الشيوعية، عن عقيدة أو لغاية، وكانوا يرون في عملهم الجـديـد الإمـكــانـيـة المنطـقـية لمـتـابـعـة الـعـمـل الـذي بـدؤوه فـي ظـــل الـكـنـيـسـة الأرثوذكسية...
ويمـكــن لـلـقــارئ هنا أن يتوقف برهة ، ويستحضر السياسات الغربية الحالية في البلاد العربية ، التي تسعى بشتى الوسائل كي تبعد ظن المسلمين في أن سياساتها الحالية ما هي إلا امتداد للحروب الصليبية في القرون الوسطى والاستعمار الغربي في القرون الحديثة. وهذا يشمل بطبيعة الحال دور المبشرين بالنصرانية الذين وجدوا في المهن التي يحتاجها المسلمون مثل الطب والهندسة وغيرها ، فرصة لمتابعة عملهم التبشيري دون اهتمام كبير من المسلمين.
وقد اقتضت »الرصــانــة والـحـكـمـة« الـتي يزعـمـون في محاربة الإسلام أن بدأت الحكومة الشيوعية تنفيذ سياسة »سلطان غاليف« لتجفيف مـنـابـع الإسلام بشكل غير مباشر: يقول المؤلفان: »ما كادت الحرب الأهلية تنتهي حتى هاجمت الحكومة السوفيتية الإسلام بطريق غير مباشر ، وذلك بالقضاء على المؤسسات الإسلامية الثلاث ، وهي: أولا: الأوقاف التي كانت تضمن القوة الاقتصادية لعلماء الدين ، ثانيا: المحاكم الشرعية التي تمنح الإسلام السيطرة على حياة المسلمين الخاصة ، وثالثاً: التعليم الديني الإسلامي ، وقد شنت هذه الحملات الثلاث في وقت واحد تقريباً«.
وكما هي سياسة تجفيف المنابع التي يجري تنفيذها في بعض البلاد العربية ، اتجهت الجـهـــود إلى منابع الإسلام الحقيقية ، ولم تتجه في البداية إلى الأحزاب والجماعات والأشخاص الذين كان لهم دور في مقاومة الحزب

الشيوعي ، ذلك لأن سياسة تجفيف المنابع لا يهمها الأشخاص أو الأحزاب في ذلك الوقت ، فهم سيصبحون صيداً سهلاً في غياب الـمؤسسات الداعمة لهم في المجتمع ، ولكن المهم هو تلك المنابع الحقيقية التي تضمن استمرار هيمنة تعاليم الدين في حياة السكان ، والعجيب أن الكتاب يؤكد كما تؤكد السياســـــات الحالية لتجفيف المنابع أن هذه السياسة لا تجد مقاومة قوية من المسلمين بعكس السـيـاســـات التي تتجه للقضاء على الأحزاب والأشخاص والجماعات!! يقول الكاتب: »وفي سنة 1925م عـمـدت الحكومة إلى تصفية الوقف نهائياً فأصدرت جمهورية (أوزبكستان) في 19 كانون الأول 1925م مرسوماً يقضي بأن تتملك مفوضية الشعب للزراعة كل الأوقاف الكائنـــة خارج المدن باستثناء البساتين والكروم ، وبعد ذلك بقليل صادرت أوقاف المدن وأوقاف المساجد، وفي سنة 1930م قضت حكومة موسكو عملياً ونهائياً على المؤسسات الوقفية الكائـنـة فـي طول الاتحاد السوفيتي وعرضه ، وذلك بوعدها أن توزع الأرضين على الفلاحين، وهكذا قضي على هذه المؤسسة الإسلامية في بضع سنوات ، من غير أن تثير أي مقاومة ، ومـنـذ ذلـك الحين حرم علماء الدين من أسباب رزقهم ، كما حرمت المساجد والمدارس من الوسائل المادية لدوام بقائها ، وبدأت الحملة على العادات الإسلامية وعلى التشريع الإسلامي فـي الـوقــت الذي بدأ فيه الكفاح ضد قوة الإسلام الاقتصادية ، وقد سهل هذه الحملة كونها جاءت في نطاق العلمانية ، وهـي تقليد قديم تردد على الأسـماع كثيراً ولم تكن محاولة إضـعــاف التشريع التقليدي بله القضاء عليه نهائياً في نظر النخبة من المسلمين إلا استمراراً للكفاح الطويل الذي قاده (الجديد) في سبيل جعل التشريع الإسلامي عصرياً ، وقد بدأ الكفاح ضد الشرع في كثير من البلدان في القرن التاسع عشر«.

وهنا لابد من وقفة أخرى للقارئ: ليتفكر في تلك القوى الشيطانية التي جعلت مخططي سياسة تجفيف المنابع المعاصرين ينتبهون إلى سياسات أسلافهم أمثال »سلطان غالييف« ، ويحاولون تطبيق تلك السياسات بحذافيرها في مجتمعات المسلمين ، فمن الدعوة إلى جعل الإسلام (عصرياً) ، إلى الدعوة إلى »العلمانية« صريحة ، وأخيراً إلى تجفيف منابع الإسلام الاقتصادية والتعليمية والتشريعية.

ولم يكتف الحزب الشيوعي السوفيتي بالقضاء على المؤسسات الإسلامية الثلاث ، ولكنه في الوقت نفسه كما يقول الكتاب قام بحملة دعائية ضخمة ضد علماء الدين ، حيث »كانت الدعاية الرسمية تسعى ، في بداية الأمر ، إلى الحط من أقدار علماء الدين فقط في نطاق عملهم وتتهمهم بالجهل وعدم فهم القرآن وعدم معرفة أحكام الشرع ، وبالتالي تتهمهم بأنهم أئمة غير صالحين ، ثم تطورت حملة التحقير رويداً رويداً ، وصار علماء الدين يتهمون بعد سنة 1926 م بالرشوة والسرقة والإجرام ، وأخيراً بسوء السيرة والخلق

وبعد سنة1928 م قررت السلطات السوفيتية أن تبدل حملاتها غير المباشرة بحملات مواجهة، لا بل أن تـهـاجـم الإســلام في جوهره وصميمه ، متناسية نصائح الحكمة والحذر التي أسداها إليها سـنة 1921م (سـلطان غالييف) وغيره من الشيوعيين المسلمين...«
ويكمل الكتاب الحديث عن آخر فصول هذه الخطة التي رسمها الحزب الشيوعي للقضاء على الإسلام نهائياً في جمهوريات الاتحاد السوفيتي السابق فيقول: »في سنة 1928م بلغت السياسة الحكيمة ، التي لجأت إليها الحكومة في مكافحة الدين ، هدفها من غير أن تثير أية مقاومة شعبية ، وذلك بتبنيها الكفاح الذي كان (الجديد) يخوضه منذ عشرات السنين بغية جعل الإسلام عصرياً ، وتطبيقه على العالم الحديث ، وبعد أن نجحت هذه السياسة بتجـريــد الإسلام من قوته الزمنية أصبح بالإمكان البدء بتنفيذ المرحلة الثانية وهي الكفاح في سبيل إقـامـــة مجتمع شيوعي بعيد كل البعد عن الأفكار الدينية ، وقد بدأ تطبيق هذه المرحلة بعنف مـنــذ البدء بمشروع السنوات الخمس ، وذلك بحملة مجابهة على الإسلام تقرر تنفيذها في الوقـــت الذي تقررت فيه مجابهة (الجديد)، وتصفية أكثر أعضائه الذين انضموا إلى الحزب الشيوعي أمثال »سلطان غالييف...«.
وكـمـا يقــول الـحـكـمـــاء: »إن التاريخ يعيد نفسه« ، لقد أسدلت مرحلة تاريخية خطيرة في جمهوريات الاتحاد السوفيتي، وبدلا من القضاء نهائياً على الإسلام، تمت تصفية الحزب الشيوعي نفسه ، ولكن المعركة مستمرة بين قوى الحق وقوى الباطل، إذ يـجــــــري الآن استنساخ تجربة تجفيف المنابع الشيوعية ليتم تطبيقها بعد تعديلات طفيفة في بعض البلاد العربـيـــة، أو بالأصح قـد تم تطبيقها منذ عشرات السنوات عندما تمكنت الدول التسلطية فـي العالم العربي من السيطرة والتحكم في المؤسسات الثلاث التي تحدث عنها الـكــاتـب وهي: الأوقاف الإسـلامـيـة الـتي كــانـت تـمـنـــح المشاريع الدعوية والعلمية الاستقلالية الاقتصادية ، والتعليم الإسلامي بعد أن ألغت أو ضـمــت جميع المعاهد الشرعية إلى النظام التعليمي العلماني، وقـبــل ذلـك ألـغـت المحاكم الشرعـيـــة أو كادت بعد أن ربطتها بمؤسسات مركزية تخضع مباشرة للحــزب أو الدولة ، وبقي مــــن سياسة تجفيف المنابع ملاحقة الشوارد التي قد تتدخل في هذه المؤسسات الثلاث، وتـحــاول إعــــادة الـصـفـــة الإســلامية ولو قليلاً إلى النظام التعليمي أو المحاكم ، أو الأوقاف الإسلامية ، وبقي منها أيضاً مـلاحـقـة الدعاة الذين يتهمون في وسـائل الإعـلام »بالجهل، والظلامية، والتطـرف، والإرهـاب...« والله غالب على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون.

مطالعات

مواقف العلماء تحيي الأمة
قـد مات في حديدهم أقوام

حـسـن قـطـامـش

حين يَدْلَهِمّ الخطب ، ويجل الأمر، ويظهرالفساد ، ويشيع الظلم في كثير من البلدان التي تَحّت الحكم بما أنزل الله،حينئذ يخشى الناس على أنفسهم وأولادهم وذويهم، فيضطرون إلى الانزواء بعيداً عن مـعـتـرك الأحداث بل ويخضعون لهذا الواقع المظلم، ويستسلمون له بعد أن ألجمت ألسنتهم تلك الأوضاع، فنجدهم قد رضوا أن يتجرعوا مرارة الصبر ، وربما شربوا كؤوس الذل والمهانة، لـكـن الظـالـم ينسى حين بغيه وجبروته تدبير الخالق العزيز الجبار وأنه له بالمرصاد ، فيتمادى في بغيه ويزيد في طغيانه ، ولكن يأبى الله إلا أن ينصر دينـه ويتم نوره ، ويدحض الباطل، ويعلي الحق ، فيقيض لتلك الشعوب الذليلة المنكسرة من يخرجها من خنوعها وذلتها، ويـبـعـث فـيـهـا روح العزة والكرامة وذلك حين يضحي العلماء والدعاة بأنفسهم ، حينما يقعون تحت سـيـاط الـجـلادين وسيوف الجبارين وأعواد المشانق ، لأنهم لا يخافون في الله لومة لائم ليقولوا للناس: إن الموت في سبيل الله خير من الموت جبناً وذلاً، ويقـيـض الله كذلك لأولـئـك الـظـلـمـة الطـغاة من يرهب قلوبهم،ويزلزل كراسيهم بالصدع بكلمة الحق ابتغاء مرضاة الله، بـعـد أن يـتـخــذوا كل الوسائل المتاحة والمشروعة لذلك ، وبعد أن يصر الظالم على ظلمه ، ويقف من شـــرع الله موقـف المعارض ويقف من الدعاة إلى الله موقف المعادي والمحارب.

إن إحياء الأمة من مواتها ، وبعثها من غفوتها ونومها ، وإخراجها من عبادة غير الله ، وقيادتها إلى ربها وسوقها إليه سوقاً جميلاً ، وحمل هذا الدين والسعي به والجـهــاد في سبيله ، إن هذا وغيره هو من سمات العلماء الفحول عبر تاريخنا المجيد ، ونستعرض هنا صوراً من مواقف أولئك العلماء لعلها تكون إحياءاً للغافلين ، ورهبة للظالمين ، إذ ضـحـوا بأرواحهم في سبيل إعلاء دين الله سبحانه ، وهي العزاء لكل مسلم يسوؤه تلك التصرفات الجائرة ضد الدين ودعاتـه.

ولــو استرجعنا التاريخ لوجدنا الأمر لا يكاد يختلف ، بل يسجل التاريخ تلك الحقيقة الجـلـيــة ألا وهي الصراع بين حزب الرحمن وحزب الشيطان ، ولن تموت أمثال هذه الكلمات الصــادقـة: »ولأموتن في حديدي هذا حتى يأتي قوم يعلمون أنه قد مات في هذا الشأن قوم في حديدهم ...«!!

فإلى أولئك الذين يسـقـطــون ظلماً وعدواناً في الدفاع عن الإسلام ودعوته: ليعلموا أنه قد سبقهم أقوام على الطريق نفسه ، وإليك أخي صوراً من تلك المواقف. ((سـنة الله في الذين خـلوا من قبل ولن تجـد لسـنة الله تبديلاْ ولن تجد لسنة الله تحويلا))(1).

الإمام البويطي(2)

هو العلامة، سيد الفقهاء ، يوسف أبو يعقوب بن يحيى المصري البويطي صاحب الشافعي ولازمه مدة وفاق الأقران ، وكان إماماً في العلم قدوة في العمل زاهداً ربانياً متهجداً ، دائم الذكر.. سعى به أصحـــاب ابـــن أبـــي دُؤاد حتى كتب فيه ابن أبي دُؤاد إلى والي مصر فامتحنه أي في محنة خلق القرآن فلم يجب ، وكان الوالي حسن الرأي فيه، فقال له: قل فيما بيني وبينك، قال: إنه يقتدى بي مئة ألف، ولا يدرون المعنى!! فأمر به أن يحمل إلى بغداد.
قال الربيع بن سليمان: رأيته على بـغــل في عنقه غلٌ ، وفي رجليه قيدٌ وبينه وبين الغل سلسلة فيها لَبِنَةٌ طوبة وزنها أربعون رطــــلاً ، وهو يقول: »إنما خلق الله الخلق »بكن« فإذا كانت مخلوقة فكأن مخلوقاً خُلق بمخلوق..
ولـئــن دخـلـــت عليه لأصْدُقَنّه يعني الواثق ولأموتن في حديدي هذا حتى يأتي قوم يعلمون أنه قد مات في هذا الشأن قوم في حديدهم«.
وتوفي رحمه الله في قيده مسجوناً بالعراق في سنة إحدى وثـلاثـيــن ومئتين من الهجرة.

الإمام نعيم بن حماد (3)

هو العلامة صاحب التصانيف، وكان شديداً في الرد على الجهمية حُمل إلى العراق في إبان تلك الغيمة مع البويطي مقيدين..
وكان يقول: »من شبه الله بخلقه فقد كفر، ومن أنكر ما وصف به نفسه فقد كفر، وليس في ما وصف الله به نفسه ورسوله تشبيه«.
قال ابن يونس: حُمل على القول بتلك الفرية فامتنع أن يجيب فسجن ومات في سجنه سنة تسع وعشرين ومئتين، وجر بأقياده، فألقي في حفرة، ولم يكفن ولم يصلى عليه.. وأوصى نُعيم بن حماد أن يدفن في قيوده وقال: »إني مخاصم«.

الإمام الخزاعي(4)

هو أبو عبد الله أحمد بن نصر الخزاعي ، كان أماراً بالمعروف ، قوالاً بالحق من أكابر العلماء العاملين ، ومن أهل العلم والديانة.
حـمـل مـــن بغداد إلى سامراء مقيداً، وجلس له الواثق فقال له: »ما تقول في القرآن؟« قـال: »كلام الله«، ق ال: »أفـمـخـلـوق هو؟« قال: »كلام الله« قـال: »فترى ربك يوم القيامة؟« قال: »كذا جاءت الرواية« قال: »ويـحـــك يُرى كما يُرى المحدود المتجسم، ويحويه مكان، ويحصره ناظر؟ أنا كفرت بمن هذه صفته...« ، ما تقولون فيه؟«
فقال قاضي الجانب الغربي: »هــو حلال الدم« ووافقه فقهاء، قال الواثق: »ما أراه إلا مؤدياً لكفره قائماً بما يعتقده« ودعا بالـسـيـف وقام. وقال: »إني لأحتسب خُطاي إلى هذا الكافر..« فضرب عنقه بعد أن مدوا له رأسه بحبل وهو مقيد.

قال الحسن بن محمد الحربي: سـمـعـت جعـفـر الصائغ يقول: رأيت أحمد بن نصر حين قتل... قال رأسه: لا إله إلا الله والله أعلم.
وعُـلـق فـي أذن أحـمـد بن نصر ورقة فيها: »هذا رأس أحمد بن نصر دعاه الإمام إلى القول بخلق القرآن ونفي التشـبـيـه فـأبـى إلا المـعاندة فجعله الله إلى ناره« وبـقـــي رأسه منصوباً ببغداد، والبدن مصلوباً بسامراء وفي رجليه زوج قـيـود.
هذه صور لابتلاء العلماء على مر التاريخ من الظلمة والطواغيت والنتيجة أن أولئك العلماء يترحم عليهم حتى الآن، أما أولئك الظلمة المحادون لله ولرسول ولشريعته، فإنهم محل المقت والكراهية.. ((وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون))(5).

الهوامش :

1)سورة فاطر:43.
(2)سير أعلام النبلاء 12/58.
(3)سير أعلام النبلاء 10/610.
(4)سير أعلام النبلاء 11/167 ، والبداية والنهاية 10/318.
(5)سورة الشعراء:227.

الورقة الأخيرة

حكمة.. وحكمة

د. محمد بن ظافر الشهري

الحكمة هي وضع الشيء في موضعه، والظلم هو وضع الشيء في غير موضعه، وعـلـى هـذا فهـمـــا عـــدوان لـيـس بـيـنهما إلا حد السيف ، ولكنهما قد يلتقيان إذا صبغت الحكمة »بالمساحيق الميكافيلية« ولبس الـظـلـم ثــوب »الاعـتدال« فيكون نتاج هذا »القِرَان الشاذ« مسخاً ، ولابد ، فإما »حكمة هجينة« أو »ظلماً معتدلاً« وفي كل شر!!
لقد كانت الحكمة عند السلف واضحة المـواصفات ثابتة المقاييس، لقد كانت »حكمة أصيلة« أقبلوا عليها دون حاجة إلى تلوينها لـكـي تصبح »جذابة« أما في »زمـــن المساحيق« فقد أصبح الإقبال شديداً على »الحكمة المترهلة« لأنها تجيد الاصطباغ »بألوان الطيف«.
إذا علمنا هذا فلا عجب أن نرى داعية يلعب بالنرد والشطرنج مع »اللاعـبين«، أو يـهـيــم ويغـني مع »المغنين«، أو يكذب ليضحك »الهازلين«، وهو يزعم في كل هذا أنه يدعو إلى سبيل ربه بالحكمة والموعظة الحسنة ، وأنه إنما يريد أن يحبب الدين إلى قلوب المعرضين، ولن نـجـــادل فـي اجـتهـادات هـذا النــوع من الدعاة، إذ هي بينة البطلان، ومخالفة للسنة والقرآن، ولكننا نقول: أي دين هذا الذي يدعون الناس إليه؟! إن العجب ليس فـي وجود المخالفات »فـكــل

ابن آدم خـطـاء..« ولكن العجب كل العجب أن ينسب الظلم إلـى الحكمة واللهو واللعب إلى الدعوة!!
إن محمداً -صلى الله عليه وسلم- لم يـكـــن يلـجــأ إلى تلك »الحكمة الهجينة« يوم أن كان يلاقي ألوان الأذى من صناديد الكفر في مـكـــة ، وكـــان أصـحـابــه مجموعة من الضعفاء والمساكين يسامون أصناف العذاب ، وينكل بهم أمام عينيه ، ولكن الأنـبـيـــاء لم يؤتوا إلا حكمة »أصيلة« ((يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيراً كـثـيــراً وما يذكر إلا أولو الألباب))(1).
لقد ارتدت الجزيرة العربية في عهد أبي بكر الصديق رضي الله عنه، ولم يبق معه إلا قلة بهم من اللأواء ما الله به عليم، فما كانت »الحكمة الهجينة« لتخطر ببال الصديق أبداً،وهو الذي تلقى دروساً في الحكمة على يدي أحكم الناس محمد .
وهذا هو إمــام أهل السنة أحمد بن حنبل، نـالـــه من العذاب ما يُلَيّن الصخر فلم يلجأ في محنته إلى »الحكمة الفضفاضة« فضلاً عن التي هي شر منها.
لقد كان السلف يتحرجون من ذكر بعض أحاديث الرجاء أمام العامة خشية الاتكال عليها وترك العمل ، وذلك من الحكمة ولا شــك ، ولكن أرني واحداً منهم تَقَوّل على رسول الله -صلى الله عليه وسلم- ما لم يقل بدعوى الحكمة أو الإخلاص أوما شئت من الدعاوى!! لـقـــد كــان أولئك الأئمة يعرفون حـدود الحكمة كما يعرفون أنفسهم ، إنها حكمة قوامها التميز ، وعنوانها الوضوح ، ودافـعـهـا الصدق ، وسبيلها المتابعة.. إنها الحكمة الأصيلة.

الهوامش:

(1)سورة البقرة:269.

تمت بعون الله والحمد لله
